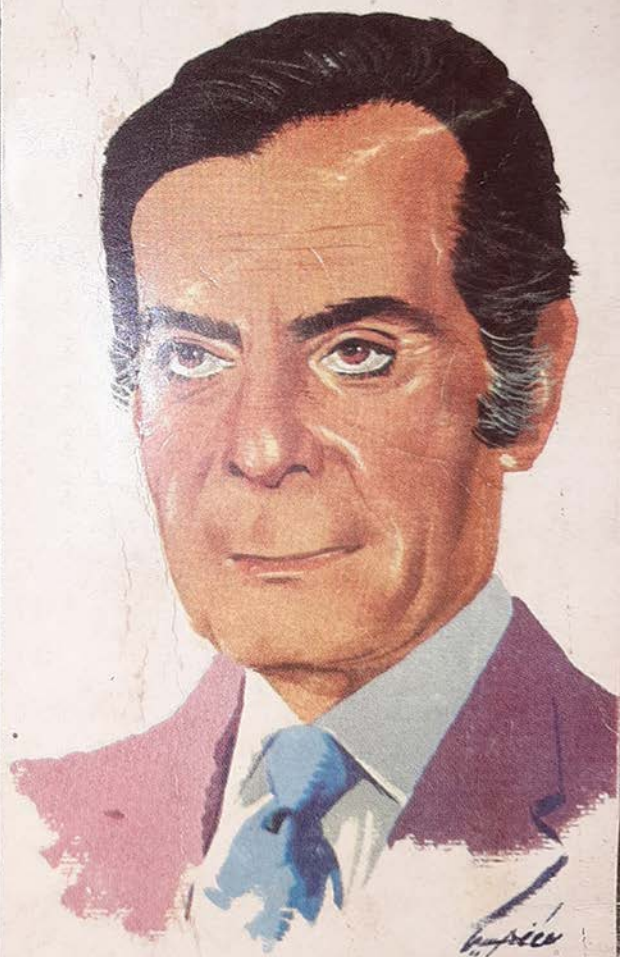


فريد الأطرش



بين الفن والحياة

بأفلام:

محمد عبد الوهاب

محمود الشريف

جورج إبراهيم الخوري

بلديغ حمدي

محمد بديع سربية

محمد الموجح

أحمد فؤاد حسن

محمود لطفي



دار المعارف بمصر

فريد الأطرش
بين الفن والحياة

فريد الأطرش بين الفن والحياة

بإقتلام :
محمد عبد الوهاب
محمود الشريف
جورج إبراهيم الخوري
بلالينغ حمدكا
محمد بديع سريية
محمد الموجح
أحمد فتوادحسن
محمود لطفى

الطبعة الرابعة



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

إهداء

إلى روح الفنان فريد الأطرش . .
رمزاً للإعجاب والحب والتقدير . .
وتكريماً للغناء والموسيقى والفن في شخصه .



مقدمة

كان فريد الأطرش ملكاً لجمهوره ومحبيه ..
قبل أن يكون ملكاً لنفسه أو لأقربائه .
وبهذا المعنى بادر محبي فريد الأطرش .. عقب
وفاته .. بتشكيل لجنة من أصدقائه ومحبيه وأقرب
الناس إليه ..
وفى أول اجتماع للجنة .. اختار الأعضاء ، الذين
هم أولاً فنانون وأصدقاء فوق كونهم زملاء .. إلى اختيار
الأستاذ الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب رئيساً للجنة .
إن الأستاذ محمد عبد الوهاب .. ليس مجرد رائد
لهذا الجيل من الفنانين .. ولا مجرد رمز يتفق عليه الجميع
من هذا الجيل .. ولكنه أيضاً راع للجميع .. أب للجميع .
وبالإضافة إلى ذلك فإن الأستاذ محمد عبد الوهاب
كان واحداً من القليلين جداً الذين يعطيهم المرحوم
فريد الأطرش ثقته الكاملة .. صديقاً وأخاً وفناناً كبيراً ..
وبقدر ما سعت اللجنة إلى اختيار الأستاذ

عبد الوهاب ، بقدر ما سعى هو أيضاً ، بل وبأدب كثيراً ،
إلى تحويل العواطف الضخمة نحو الأستاذ فريد
الأطرش .. إلى أعمال ملموسة تؤكد مساهمته الغنائية ..
ودوره الموسيقى .. ومكانته الفنية .

من هنا . . ولأسباب إضافية كثيرة . . بدأ
التفكير في إصدار هذا الكتاب .

فمن الأسباب الإضافية . . ولكن الهامة أيضاً ،
أن مستوى وإهتمامات كتابات كثيرة عن فريد الأطرش
كان أقل من فنه .

ومثلما حدث للمرحوم فريد الأطرش في حياته . .
فأن كثيرين من الذين حسبوا عليه . . بدأوا في مماته
يقدمونه للقارئ كمجرد مادة مثيرة . . !

ولهذا بدأت اللجنة تفكر في هذا الكتاب ، وكتاب
آخر أكثر تخصصاً ، لكي تضع أمام القارئ صورة
متعددة الجوانب ورفيعة المستوى . . للشخصية التي
كان عليها فريد الأطرش : إنساناً . . وموهوباً . .
وفناناً كبيراً .

ولم يكن هذا هو إحساس اللجنة فقط . .
فبمجرد أن شاعت الفكرة . . سارع كثيرون من
المخلصين في التعبير عن حماسهم لها . . ورغبتهم
الأكيدة في أن يكونوا جزءاً من نجاحها . .

وعندما بدأ تنفيذ الفكرة فعلاً . . كانت المشكلة
هي ماذا يتم نشره ، وماذا لا يتم . لقد كانت عواطف

أصدقاء ومحبي فريد الأطرش أكثر تدفقاً ورقة وحماساً
من كل التدفقات . . بحيث أن اللجنة تود أن تعبر هنا
عن شكرها للذين ساهموا في هذا الكتاب ، وأسفها
الشديد للذين حالت ظروفهم ، أو ظروف الكتاب من
مساهمتهم .

الفنّ.. والحياة..
وفريد الأطرش



بقلم : محمد عبد الوهاب



عندما جاء الأستاذ فريد الأطرش إلى مصر لأول مرة . . لم يكن المناخ الفني مهياً لاستقباله هو . . بقدر ما كان مهياً لاستقبال أخته . . المرحومة أسمهان .
كانت الأصوات السائدة والمتنافسة فنياً تتراوح بين منيرة المهدية وفتحية أحمد وأم كلثوم . وفي وسط تلك المنافسة ، جاءت أسمهان متميزة بصوت حلو النغمات حديث الأسلوب مختلف النبرة . . بالإضافة إلى الصفات الأخرى التي لا بد أن تتوافر في صوت المطربة التي تريد أن يكون تعبيرها سليماً وممتازاً في الغناء الشرقى .
وأمام العقبات الكثيرة التي وجد فريد الأطرش نفسه يواجهها . . وأهمها كما ذكرت أن المناخ الفني لم يكن مهياً أساساً لاستقباله . . فإن فريد الأطرش لم يجد بداً من أن يبدأ حياته الفنية عازفاً على العود مع الفرقة الموسيقية التي تصاحب أسمهان في الغناء .
في تلك الفترة حاول فريد الأطرش أيضاً أن يعمل بمفرده . . عازفاً ومطرباً عند المرحومة بديعة مصابني . . ولكنه لم يحقق لنفسه النجاح المطلوب .
بل إن فريد واجه في الحقيقة ما هو أكثر من ذلك . . خلال تلك السنوات المبكرة من حياته . إن الذين عاصروا الحياة الفنية في ذلك الوقت يتذكرون مثلاً النكتة الشهيرة التي أطلقها عليه بعض الساخرين وقتها ، وعلى رأسهم رجل محب للغناء والمغنين اسمه محمد دبشة .
تقول النكتة إن أحد المستمعين سأل زميله : من هذا العازف على العود الذى

بصاحب أسمهان في غنائها ؟

قال له الآخر : إن اسمه هو فريد . . الأطرش .

رد الأول : يا بخته !

ربما من أجل هذه العقبات كانت المرحومة أسمهان تحس أنها في حاجة إلى بذل مجهود إضافي للمساهمة في تذليل هذه العقبات التي تعترض بروز موهبة أخيها . ومن أجل هذا أيضاً كانت أسمهان تشترط عليهم الاستعانة بفريد . عازفاً أو مطرباً . وبالإضافة إلى ذلك . فإن أسمهان حاولت في البداية أن يكون صعودها الفني مقترناً بأخيها . . وألا يتأخر بروز واحد منهما عن الآخر . . لأن أسمهان كانت مؤمنة إيماناً تاماً ومطلقاً بموهبة فريد . . في الوقت الذي كان فريد يواجه فيه عقبة بعد الأخرى . ولم تكن العقبات التي تواجه فريد تتعلق فقط بالمناخ الفني السائد . . والمسيطر وقتها . . وإنما كانت تتعلق أيضاً بالطريقة التي بدأ بها حياته الفنية . إن أبرز مساوئ تلك الطريقة كانت الأسلوب الذي ينطق به فريد بعض الألفاظ - كالراء والحاء مثلاً - مما يجعلها في النهاية تخرج في حالة قلقلة لم يكن يألّفها الذوق المصري في الغناء وقتها . . وهو الأمر الذي يضع من البداية حاجزاً من الغربة بين المطرب ومستمعيه . ولكن . . إذا كان فريد قد عانى من تلك العقبات في البداية . . فإنه كان يتمتع أيضاً بموهبة أخرى غير موهبته الصوتية : إنه كان قوى الإرادة ومشحوناً بالإصرار وعنيداً إلى أقصى درجات العناد . إنه لم ييأس ولم يستسلم ولم يتراجع أو ينسحب . . وإنما اعتبر تلك العقبات تحدياً إضافياً لا بد له من أن ينجح في مواجهته من البداية . ومن البداية حتى النهاية نجح فريد فعلاً إلى أقصى مدى في أن يكسب معركته ويحقق شعبيته ويفرض موهبته التي حاول البعض أن يرفضها في البداية . . إن الذين رفضوه . . كانوا فيما بعد هم الذين استمعوا له وأعجبوا به وصفقوا له وانفعلوا به وتحمسوا لموهبته .

ولأن لكل معركة دروسها ، فإن الدرس الذى خرج به فريد الأطرش من معركته لإثبات نفسه فى تلك الفترة . . كان هو الإحساس المطلق بسطوة الجمهور . . والولاء المطلق لرغبات الجمهور . . والتركيز المطلق على تحسس رغبات الجمهور .

لقد كان فريد الأطرش فى بدايته مبشراً بتطور كبير . . ولكن تلك المعركة المبكرة خلقت فى داخله الإحساس بأن يكون محافظاً كبيراً . إننى ربما اختلفت فنياً مع فريد فى هذه النقطة . . فإننى شخصياً اخترت لنفسى من البداية طريقاً عكسياً . . وفضلت أن أبدأ فنياً من الموجود فعلاً . . لكى أحاول بعد ذلك السعى إلى تطويره .

ولكن فريد كانت له ظروف أخرى ألزمته من البداية بأن يكون محافظاً فى تطوره . . بحيث إنه بدأ فنياً بمحاولة تطوير الأساليب السائدة فى الموسيقى والغناء . . لكى يضطر بعدها إلى توقيع هدية . . أو التوصل إلى حل وسط . . يجعله يمارس محاولته للتطوير فى حدود الموجود فعلاً .

وكان صوت فريد الأطرش هو سلاحه الأول فى كل معاركه الفنية . . لأن صوته كان موهبة فى حد ذاتها تضيف الكثير إلى الأصوات الموجودة والمتنشرة .
كان صوت فريد الأطرش يحمل من البداية كل بصمات الموهبة والاختلاف والتميز .

فن الناحية المبدئية كان صوته سليماً . . نقياً . . يتمتع بكل الصفات الفنية اللازمة للنجاح كمطرب .

ومن ناحية أخرى كان صوته واسع المسافات جداً ومتعدد النغمات . . بحيث إن القرار والجواب فيه ممتازان للغاية . . وبحيث إنه يستطيع فى النهاية أن يحرك مشاعر الناس بغير حدود . . فينفعلون معه ويصفقون له صائحين : الله . . .

لم يكن صوت فريد الأطرش هو صوت إنسان يغنى . . ولكن كان صوت إنسان يطرب . . والفرق كبير بين النوعين ، فالأول ممتاز . . ولكن الثانى هو الموهوب . . والمغنى

رَبِّهِ يثير حماس المستمع . . ولكن المطرب يلهب أكف المستمع بالتصفيق .
ولأن فريد واجه من البداية محاولات لرفضه . . فإن ولاءه للتصفيق كان حتى
النهاية تأكيداً براه هو ويسمعه بأذنيه لسوء تقدير الذين رفضوه في البداية . . وتأكيذاً
لحسن تقديره هو لإحساس الجمهور وانفعالاته .

إن الجمهور كان موجوداً دائماً في تفكير فريد الأطرش وغناؤه وألحانه . . من
البداية حتى النهاية . . حينما أعطى فريد مرة إضافة صوتية جديدة وتمييزة للجمهور . .
ورأى بعينه كم يتذوقها ويستحسنها ويطلب لها الجمهور . . فإنه ظل يستخدمها بعد
ذلك بصفة دائمة . . كلما أراد أن يرضى الجمهور . . أو كلما أراد هو أن يحس برضاء
الجمهور . . لأنه في الحقيقة كان يحصل على النتيجة فوراً . . والنتيجة كانت هي
دائماً : مزيداً من تصفيق الجمهور واستحسانه ورضائه . .

ولقد ساعدت الفترة الأولى من عمل فريد عند بديعة مصابني . . في أن يكون
إحساس فريد بالجمهور جاداً ومستمرّاً . . ربما من أجل هذا مثلاً كانت الإيقاعات
الراقصة . . والاسكتشات الغنائية الشعبية ، هي من أفضل ما قدمه فريد الأطرش
لمستمعيه . . ومن أجل هذا أيضاً كان الجمهور يحب أن يستمع دائماً إلى المؤويل
من فريد الأطرش . . مما كان يجعله ، خصوصاً في الحفلات العامة ، يشير للفرقة
الموسيقية بأن تبطل من عزفها . . لكي يرتجل هو موالاً بصوته الموهوب . . مما يجعل
الجمهور يصيح طرناً وإعجاباً بمجرد أن يغنى فريد : يا ليل يا عين . . أو وفأوف .

لقد أحس الجمهور بأصالة المطرب في صوت فريد الأطرش .
وأحس الجمهور أيضاً ببذرة العظمة في ألحان فريد الأطرش . .
في الواقع لو أننا أخذنا لحناً واحداً مثل « أنا . . واللى باحبه » . . الذى عبر فيه
فريد عن موجة التانجو الغربية التى كانت سائدة وقتها . . لوجدنا فيه بذرة النبوغ واضحة
في أحلى وأجمل صورها .

إن التركيبة الموسيقية التي ابتكرها فريد في هذا اللحن لا يمكن أن تخرج إلا من عقل موسيقى نابغ يضع في الجملة الموسيقية من الهندسة والفن ما يضعنا في النهاية أمام موهبة فريد الموسيقية كاملة .

إنني ربما أستطيع أن أضرب أمثلة عديدة في هذا الاتجاه من بين أعمال فريد الأطرش مثل « وياك . . وياك . . مطرَح ما تروح وياك » . . أو مثل أغنية « يا زهرة في خيالي » . . التي أثبت فيها فريد الأطرش مدى تفتحته المبكر على الموسيقى الغربية . . ومدى قدرته على التطوير في الحدود التي لا تخرج موسيقانا عن طابعها الأصلي وإطارها الشرقي .

إن هذا الطابع نستطيع أن نجده في كثير من الأعمال الموسيقية التي تركها لنا فريد الأطرش ، ومعظمها أعمال نستطيع أن نجد فيها الجملة الموسيقية التي تتمتع بالأصالة والجمال والتميز . . وفي الوقت نفسه يمكن الانتفاع بها في إطار عالمي . ولكن فريد . . بقدر ما كان يتمتع بالموهبة والحماس والعناد . . بقدر ما كان أيضاً يتمتع بالقدرة على الملل فنياً بسرعة .

كانت حياة فريد الأطرش لا تترك له مجالاً للتفرغ فترة كافية من أجل الاستمرار في تأكيد وتدعيم وتثبيت لون موسيقى ابتكره هو .

إن فريد كان يفضل الحياة الصاخبة . . المرحّة . . والمسلية . . بحيث إنني مؤمن تماماً بأنه لو كان قد استثمر حياته بشكل مختلف . . لترك لنا أضعاف ما ترك . . ولحقق لنفسه من الثروة أضعاف ما حققه . . ولكانت الموسيقى الشرقية قد أخذت منه أضعاف ما أخذت .

ولكن فريد كان يحب الحياة . . تماماً بمثل حبه للجمهور . . وبمثل حبه لفنه . . إن الجميع أخذوا منه حظاً متساوياً من الاهتمام والإقبال . . بحيث إن المنافسة كانت مستمرة بين الثلاثة دائماً - الحياة والجمهور والفن - حتى اليوم الأخير من حياة

فريد الأطرش .

ولم يكن فريد متميزاً فقط كمطرب وكملحن . . ولكنه كان متميزاً أيضاً كمستمع .
في الواقع أن إحدى مواهب فريد الأطرش كانت قدرته على أن يضع يده فوراً
على الشيء الجميل والجديد في أى لون من ألوان الغناء والموسيقى . . وحتى في طريقة
سماعه لأية أغنية ، أولحن جديد . . فإنه يستمع بإحساس الفنان العريق . . العادل
مع نفسه . . ومع أعمال الآخرين . . إن وجود سوء تفاهم مثلاً ، أو حتى وجود خلاف
شخصي ، بينه وبين صاحب العمل الذى يسمعه . . لا يمنعه مطلقاً عن أن يقرر
فوراً أن هذا العمل ممتاز . . أو جديد . . أو مبتكر .

إن هذا ليس أمراً مألوفاً دائماً . . بل إن المألوف أن تتأثر الأحكام الفنية للناس
بمشاعرهم الشخصية . . ولكن هذا العيب العام لم يكن موجوداً على الإطلاق في فريد
الأطرش . لقد كان في هذا المجال نموذجاً للإنسان البسيط . . الفنان . . الخالى
من الحقد . . أو الغيرة . . والمشحون بالحماس لكل جميل وجديد في الفن .

وبالإضافة إلى ذلك فإن شخصية فريد نفسها كانت خالية تماماً من سوء النية . .
أو المكر . . أو الخبث . . وعلى العكس من ذلك . . كان فريد صادقاً دائماً . .
ومباشراً دائماً . . وصريحاً وطيب القلب . . ربما إلى درجة السذاجة في بعض الأحيان .
ولكننى لا أريد التعرض إلى شخصية المرحوم فريد الأطرش الآن . . لأننى أريد
التركيز أولاً على فنه . . فهذا هو الذى سيعيش منه في النهاية . .

إن فن فريد الصوتى نستطيع أن نجده واضحاً في كثير من أعماله الكبيرة مثل :
أول همسة . . الربيع . . بنادى عليك . . حبيب العمر . . نجوم الليل .

في تلك الأعمال ، وكثير غيرها ، نستطيع أن نضع أيدينا على موهبة فريد الأطرش
الصوتية كاملة . موهبة تستطيع أن ترغم المستمع على أن يصيح : الله . . وعلى أن
يكشف في المطرب أحسن ما فيه . . وأجمل ما لديه . لقد كان صوت فريد الأطرش

واحدًا من الأصوات القليلة التي لها شخصية . . وقد أسعد الناس بهذا الصوت سنوات طويلة . . في ألوان متعددة كان فيها الشعبي والاستعراضى والطويل والقصير . . والحزين والمفرح .

ولقد ربطتني بفريد الأطرش صداقة فيها من العمق بأكثر مما فيها من الطول . . وخلال السنوات العشرة الأخيرة من حياته كانت تلك الصداقة قد توثقت إلى أقصى درجة ممكنة . . وخلال تلك الفترة كان فريد هو الصديق الذى لا يعوض . . وكان هو أيضاً الوفاء كله . . والطيبة كلها .

والواقع أن فريد الأطرش كان وفياً جداً جداً لأصدقائه . . بل إننى أعرف علاقات صداقة فى حياة فريد استمرت ثلاثين وأربعين سنة . . إن فريد لم يكن يحب أن يغير أصدقاءه . . كما أنه هو أيضاً لم يكن يحب أن يصبح صديقاً لأحد بسرعة . ولم يكن فريد يحب أبداً أن يستبدل صديقاً قديماً بصديق جديد أكثر نفعاً . . إن الصداقة عنده كانت لوجه الصداقة . . قبل أن تكون لوجه المصلحة أو المنفعة أو أى شيء آخر .

وبقدر ما كانت هذه كلها مزايا حقيقية فى فريد الأطرش . . بقدر ما كان يعانى من عيب آخر . . هو بدوره نتيجة لحسن ظنه الشديد وطيبته الدائمة مع الحياة ومع الناس .

كان عيب فريد أنه لا يجيد اختيار أصدقائه !

ففيما عدا استثناءات قليلة . . لم يكن أصدقاء فريد الأطرش من الإخلاص بحيث يدفعونه لإعطاء المزيد من حياته للفن . . ولم يكونوا من الثقافة بحيث يستفيد هو من مجلسهم ثقافياً . . ولم يكونوا أصحاب بصيرة يضعون أيدى فريد على المستقبل قبل أن يفاجأ به . . ولم يكونوا من الحكمة بحيث يرغمون فريداً على أن يدرك أن الفنان هوفنان أولاً قبل أن يكون شريك أنس أو صديق سهرة أو شريك مائدة .

إن الصديق يصبح خطراً كبيراً حينما يعجز عن تنبيه صديقه إلى عيوبه ، قبل أن يخاطب فيه مزياه . . وفي هذا المجال فإن حكاية عقدة الاضطهاد التي كانت تشاع عن فريد الأطرش هي مجرد إشاعة خلقها عدد من أقرب أصدقائه هو . . ونقلوها إليه وألحوا بها على أسماعه . . إلى أن أصبح هو يؤمن بها في اللحظات غير المشرقة من حياته .

إن الصداقة من جانب فريد الأطرش كانت لوجه الصداقة . . ولكنها من جانب بعض أصدقائه كانت لوجه المصلحة ، أو المنفعة ، أو حتى مجرد الأُنس والتسلية .

ولم يكن من الممكن مشاهدة فريد غالباً إلا وسط حزام من الأصدقاء . لقد كان فريد حريصاً دائماً ، وفي أى ساعة من ساعات الليل أو النهار ، على أن يعيش حياته وسط مجموعة أصدقاء . ولم تكن مائدته تخلو دائماً من خمسة عشر أو عشرين صديقاً في أى يوم من الأيام .

إن تفسيرى الشخصى لهذه الظاهرة في حياة فريد هو أن كان لديه إحساس دفين بأن الحياة قد صدمته مبكراً . . بحيث إنه أصبح فيما بعد يخشى من نفسه . . أو يخشى أن يفرد بنفسه . . لهذا فإنه كان يدفن نفسه دائماً وسط مجموعة من الصداقات الدائمة التي تجعل الحياة بالنسبة له أكثر احتمالاً . . والمستقبل أقل قسوة . . والماضى أقل عبثاً .

من أجل هذا كان مجلس فريد الأطرش هو دائماً مجلس الأُنس والسُرور والتفاؤل والسعادة والضحك والتسلية و« الفرفشة » و . . شئ من الغناء والموسيقى .

ومن أجل هذا فإن فريد كان حريصاً على أن يبدأ اندماجه اليومي في هذا الإطار من اللحظة الأولى التي يستيقظ فيها من النوم . إن مجموعة أصدقائه موجودة في حياته ابتداء من تلك اللحظة . . وهم معه طوال اليوم في كل لحظة . حتى وهو ضيف في أى مكان أو أى منزل أو أى صديق . . فإنهم معه دائماً .

والأستاذ فريد الأطرش كانت حياته تختلف عن نفسه على قدر كبير . . فهو

فى حياته الخاصة مرح جداً . . صاحب نكتة . . ولا يتفوه إلا بالكلمة الضاحكة الحلوة ، وكان لا يحب الحزن فى جلساته وكان يعيش الحياة بالعرض . . فهو يسهر الليل إلى الخامسة أو السادسة صباحاً مع أصدقائه المختارين . . وينام للظهر ، ثم ينهض من النوم ليلتقى بأصدقائه ثانية . . ويتناول طعام الغداء ، ويجلس معهم إلى السادسة أو السابعة مساءً ، ثم ينام ساعتين إلى التاسعة مثلاً وينهض من الفراش ليستأنف السهر مع الأصدقاء إلى الصباح . .

وفى كل هذه المجالس هناك الضحك ، والنكتة ، والسخرية ، والهجة ، والسرور ، ومع ذلك كنا نراه فى أغانيه خصوصاً الطويلة منها تغلب عليها سمة الحزن . . خصوصاً فى طريقة إخراج صوته أوحى فى الجملة اللحنية ، ولعل السبب فى ذلك أنه كان يحتاج إلى الأسرة التى لا ينعم بها . . وإلى الحيوية التى تنكرت له !

ومع الحياة التى كان يعيشها فريد بالطول وبالعرض كنت أتساءل : متى يجد وقتاً لكى يلحن ؟

وأين الوقت الذى يفرد به بنفسه طويلاً . . ليتج كل هذا الإنتاج الغزير فى وسط حياته الصاخبة ؟

وسرعان ما جاءنى الرد . .

فريد الأطرش كان موهوباً ، واثقاً من نفسه ثقة كبيرة .

فاللحن فى يده لا يستغرق أكثر من دقائق معدودة . .

كان يضع الكلام الذى سيلحنه . ثم يلحنه . . ولا يغير فيه أبداً مهما كان . .

ولا يضع وقته فى « الوسوسة » عملاً بالمثل القائل : ليس فى الإمكان أبدع مما كان ! .

وكان يسعد فريد بأن يسمعى بعض ما يلحنه بصفة خاصة . .

ربما كان هذا اعتقاداً منه بأننى أحس به أكثر من الغير . .

وعندما أحاول أن أستوضحه . . لماذا لا تكون الجملة الموسيقية هكذا . . كان يدافع

عن رأيه بحماس شديد ، حماس يجعلنى أحس بأن ما يلحنه ينطبق عليه القول
المأثور : ليس فى الإمكان أبدع مما كان . .

والكلام عن فريد الإنسان قد يطول . .

فهو لا يسىء إلى أحد ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يقول إنه أساء إليه . . أو كان سبياً
فى ضرره .

على العكس ، ربما كان فريد قد لحقه الضرر من بعض أصدقائه بلا سبب . .
كان وفياً . . وكان صديقاً . . وقد أجهد نفسه إجهاداً كبيراً فى حياته الخاصة . .

ولو قدر له أن يعطى جزءاً أكبر لفنه لأضاف إلى الثراء الفنى الذى أعطاه للغناء
العربى . . ثراء آخر كبيراً . .

وبين ذكرى باتى مع الفنان الراحل فريد الأطرش . . أنه كان يتمنى أن أركب
بجانبه ولو مرة واحدة الطائرة ، وعرض على مراراً أن يدفع هو ثمن التذكرة إلى أى بلد
أريدها فى العالم ، حتى ولو كانت أمريكا أو اليابان . . لا لشيء إلا لمجرد رؤيته ماذا
أفعل وأنا فى الطائرة .

وفى إحدى المرات دعانى لكى أسافر معه إلى بيروت ، وفى لحظة من اللحظات
أصر على هذه الدعوة وقبلتها فى غفوة من التفكير . .
وفى آخر لحظة . . هربت . .

وكان لهذا الحادث وقعه الشديد عليه ، وتأثر من هذا الهروب . . ثم صالحته
بعد ذلك . . ولكنى لم أدفع له ثمن تذكرة الطائرة التى دفعها !

وكثير من الناس كانوا يعتقدون أن العزيز الراحل فريد الأطرش يدعى المرض
ليستجلب عطف الجماهير ، ولكنى أشهد بأن ذلك كذب ، فقبل وفاته بثمانية أعوام كان
فريد يقوم بتصوير فيلم لحساب مؤسسة السينما المصرية وكان الدكتور حاتم فى ذلك
الوقت وزيراً للإعلام والثقافة ، وذهب الأستاذ فريد الأطرش ، وتورمت قدماه ،

حتى إنه لم يتمكن من النوم إلا وهو جالس على المقعد وخلفه الوسادات لصعوبة نومه وهو راقد في فراشه . .

كلمنى طبيبه الدكتور عوض إبراهيم ، وقال لى :

- لو استمر فريد فى العمل فى ذلك نهاية حياته . . فأرجوا الاتصال بالمسؤولين لسفرك إلى لندن للعلاج . .

اتصلت تليفونيا بالدكتور محمد عبد القادر حاتم ، وأخبرته بما قاله الأطباء ، وقلت له :

- إن بعض المسؤولين فى مؤسسة السينما يعتقدون أن الأستاذ فريد ليس مريضاً ، وأن كل ما يريد هو الذهاب إلى لندن وباريس للتنزه كعادته ، ونقلت له ما قاله الدكتور المعالج بالحرف الواحد ، فأمر الدكتور حاتم على الفور بإيقاف تصوير الفيلم ، وسفر الأستاذ فريد إلى لندن للعلاج . .

وسافر فريد . وسألت الأطباء :

هل حقيقة أن فريد كان فى خطر؟

فقالوا لى :

إن الفنان فريد الأطرش لا يحتمل الحياة أكثر من ستة شهور . .

ولكن الله خيب ظنهم ، وعاش بعد ذلك ثمانية أعوام بإيمانه وحب الحياة .

وكان فريد يتسلى أحياناً بلعب القمار .

لم يكن هذا غريباً . . ففريد كان يقامر فى كل لحظة بصحته وحياته . . فليس غريباً إذن أن يقامر من وقت لآخر بنفوده .

ولقد حدث أن التقينا مرة فى مدينة باريس .

كنت أنا وحدى . . وكان هو فى صحبة الممثلة الأجنبية « ريتا هيوارت » . .

التي كانت تربطها به فى تلك الفترة صداقة حميمة . . تجعلهما يقضيان ، أغلب

وقتهما معاً .

وقرر فريد أن يدعونا - ريتا هيوارث وأنا - لمشاهدة سباق الخيل .

وعندما بدأ السباق طلب منى فريد أن أشرح له رقماً يلعب عليه . . إننى حاولت أن أعتذر له بأن خبرتى منعدمة تماماً فى هذه الأشياء . . ولكن أصر على طلبه . . وأكد ذلك بقوله : لازم ترشح لى نمرة . . لو خسرت أنا أتحمّل الخسارة . . ولو كسبت يبقى نقسم المكسب بالنص .

وكنّت أنا شخصياً أتفائل برقم « سبعة » . إن السلم الموسيقى يتكون من سبع درجات . . وقوس قزح يتكون من سبعة ألوان . . ورقم سبعة يتكرر هو نفسه كثيراً فى بعض آياتة القرآن الكريم .

وضحك فريد من أفكارى أنا . . وبدأ يلعب .

وكانت المفاجأة هى أنه كسب ما يعادل أربعة آلاف جنيه !

وكانت المفاجأة الثانية هى أن فريد صمم فعلاً على أن يقتسم معى ما كسب : يأخذ ألفين . . وأخذ ألفين من الجنيهاً .

وحاولت أنا أن أرفض ، على اعتبار أن المسألة كلها كانت مزاحاً من أولها إلى آخرها . ولكنه أصر . . بل لم يهدأ . . إلا بعد أن اقتسمت المبلغ فعلاً !

وفى اليوم التالى دعوت فريد إلى الغداء . . فقد كنا نقيم فى تلك الفترة فى فندق واحد فى باريس ولكن فوجئت عند حضوره ، بأن معه عشرين صديقاً ، هم « شلته » الدائمة فى باريس ، التى تحقق له فى الغربة نوع الحياة التى يمارسها فى القاهرة . . أوفى بيروت .

ولقد كان هذا كله جزءاً من إقبال فريد على الحياة . . وجزءاً من إصراره على أن يعيش حياته بالطول والعرض . . ولا يهم بعد ذلك أى ثمن يدفعه من أمواله . . أو صحته . . أو حياته .

وكل شيء فعله فريد الأطرش . . فإنه كان يفعله بإخلاص وحب شديدين . .
إذا أحب . . فهو عاشق مائة في المائة .

وإذا لعب . . فهو مشغول عن أى شيء آخر مائة في المائة . .

وإذا ضحك . . فهو معافى من الهموم مائة في المائة . .

وحتى إذا أكل . . فهو متفرغ تماماً للطعام مائة في المائة .

لقد دعانى مرة إلى الغداء فى باريس . . بمناسبة وجود وكيل جمعية المؤلفين
والملحنين القادم من لندن .

كانت الدعوة عادية . . ولكن الذى لم يكن عادياً إصرار فريد على أن يكون
الطبق الرئيسى فى الطعام هو « لحمه الرأس » .

صحت أنا مندهشاً : لحمه رأس فى باريس ؟ إنتى لم آكلها فى القاهرة . .

فهل آكلها فى باريس ؟

قال فريد : نعم .

وفعلاً . ظللنا نتجول بالسيارة أكثر من ساعة إلى أن استطاع فريد أن يعثر فعلاً
على مطعم يقدم « لحمه الرأس » . . وهو مطعم كان مملوكاً لأحد أصدقائه التونسيين
المقيمين فى باريس !

وبقدر ما كان فريد دمثاً فى أخلاقه . . ووفياً فى صداقته . . وكرماً فى حياته . .

فإنه كان دقيقاً فى مواعيده إلى درجة التعصب . . فإنه يحب أن يلتزم بمواعيده مع
الآخرين دائماً . . ويجب بالتالى أن يلتزم الآخرون بمواعيدهم معه تماماً . . إن أقل
إخلال بموعد معه هو إهانة . . أو على الأقل إهمال ربما يستحق منه أن يقاطع ذلك
الإنسان تماماً .

لقد أجهد فريد نفسه فى حياته الخاصة كثيراً جداً . . وإننى أتصور لو أنه

رصد ربع ما أنفقه فيها « للفن » . . لأدى ذلك إلى إثراء الفن الغنائى والموسيقى عندنا

أضعاف أضعاف ما قدمه فعلا .

لقد امتدت مساهمة فريد الأطرش في فننا الغنائي والموسيقى إلى جبهة واسعة جداً ، شملت كل الألوان . . من الأغنية القصيرة ، إلى الطويلة . إلى الاستعراضية . إلى الشعبية . إلى الأوبريتات .

ولو أن فريداً كان يمتلك موهبة الاستمرار في المحاولة والإصرار عليها . . لقدّم لنا أعمالاً خطيرة في المسرح الغنائي . . ولكان بالتالي قد كسب للمسرح الغنائي جمهوراً عربياً .

وقد عمل الفنان الراحل الأستاذ فريد الأطرش من البداية في صالة « بديعة مصابني » مع المطرب الأستاذ إبراهيم حمودة وعلى ما ذكر أنه ابتداءً عازفاً للعود . . ثم بعد ذلك أخذ يغني في هذا الجو . . جو صالة بديعة مصابني . . فقدم الأغاني الراقصة ذات الطابع الإيقاعي ، التي يرقص عليها الغير .

وبعد فترة دخل الفنان الراحل مرحلة أخرى من مراحل حياته الفنية ، حيث بدأ يعتنى بغنائه تدريجياً مستفيداً بخبرته في المحالات الفنية . . ويلحن ألحاناً لا يغنيها إلا مطرب ذو صوت مقتدر .

وبعد ذلك حاول الفنان الراحل فريد الأطرش تقليد المصريين في أهم ميزة يمتازون بها في الغناء الشرقي ، وهي « القفلة » المصرية ، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير .

وقد ساهم المرحوم فريد الأطرش في إثراء التراث العربي في الغناء والموسيقى . . إلا في ناحيتين . . هما الدور والموشح . . فلم يلحن في هذين المجالين . . ولكنه أثرى الغناء في الأغنية الفردية الطويلة والقصيرة الحديثة . .

ففي مجال الأغنية الطويلة ، له روائع طويلة الحياة ، كأغنية « أول همسة » وأغنية « الربيع » وأغنية « بنادى عليك » وأغنية « حبيب العمر » وألحان أخرى . . وهذه الأغاني الطويلة التي تمتد لأكثر من نصف ساعة ، ربما كانت تصل في الحفلات إلى

حوالى ساعة ونصف الساعة . . .

ولم يكن بمستطاع أن تتحملة الجماهير إلا إذا كان له صوت قادر له مسافات راثعة . سواء في « قراره » أو في « وسطه » . . أو في « عاليه » . . وله أيضاً المقدرة على تأديته بما يريد في جميع هذه الأوضاع بالقدر المتساوى من القدرة ، يجب أيضاً أن يكون له استعداد وهذا طبعى لأنه ملحن . . في أن يضيف في كل مرة يغنى فيها الجملة إضافات جديدة ، جميلة وممتعة ، تصل إلى آذان الناس ليستمتعوا بها ولا يملوا سماعها وهو يكررها . . مرة . . مرتين . . عشر سنوات ! .
وهذا لا يكون إلا في صوت عظيم . .

وهذا ماكان عليه المرحوم الفنان الراحل فريد الأطرش . .
أما في مجال الأغنية الشعبية ، فقد ساهم بعشرات الأغنيات التي تتميز بالإيقاع الشعبي الراقص ، وللحن الشرق الأصيل ، والبساطة في التلحين وعدد المقامات التي يلحن بها هذه الأغنيات ، حتى يمكن للجمهور أن يغنيها ، ويرددها . .
وعلى سبيل المثال أذكر أغنيات كثيرة له . . مثل « سافر مع السلامة » . . « ماقالى وقتله » ، ولا كتب على وراق الشجر ، ونورا يانورا » ، ومثل هذا كثيراً جداً . .
وفي عالم الأغنية الحديثة خرج الفنان فريد إلى آفاق أخرى غير اللون العربى . . ولكنه بإحساس الأصالة العربية ، اختار ما يوافق المزاج العربى من نقله لبعض الألوان الغنائية الأوروبية . . كالتانجو مثلاً ، لأنه قريب من حيث « الميلودى » أو عبارة أخرى من حيث الجملة الملحنة في التانجو وقربها من الرومبا التي هي من معالم الغناء العربى .

ومن هذه الأغاني على سبيل المثال « يازهرة في خيالى » و« أنا واللى باحبه » ، وأغنيات أخرى من هذا النوع .
وأذكر عن الفنان فريد الأطرش . . أنه كان يحب الجماهير ، لأن الجماهير

كانت تحبه . . . لذلك كان يحاول جاهداً إرضاء الجماهير بأى شكل كان . . .
ومن ملامح فن الفنان فريد الأطرش إحساسه بأن الجماهير تحب الموال سواء كان
هذا الموال يبدأ بياليل ياعين ، على الطريقة المصرية ، أو بأوف أوف على الطريقة
السورية . فكنا نراه يعطى هذا اللون من خلال كل أغنية شعبية . . .
لقد كان فريد مطرباً شعبياً وجماهيرياً من الدرجة الأولى . . .
كان يجيد معرفة رغبات الجماهير ، ويجيد التعامل معها ، ويجيد تليتها .
ولكنه سرعان ما كان يحس بالملل .
وأحياناً كان الملل يصيبه قبل أن ينتهى من اللحن الواحد . أو الأغنية الواحدة .
إننى ذكرت من قبل أغنية « أنا . . . واللى باحبه » . . . كنموذج للتفكير
الموسيقى الهندسى والتابع والعالى المستوى .
ولكن ، قبل أن تصل الأغنية إلى منتصفها كنا نفاجأ بفريد وقد نقلنا موسيقياً إلى
شئ آخر تماماً فى مقطع « انت روحى . . . وانت قلبى . . . إلخ » .
إن تلك النقلة تتميز طبعاً بالسهولة والشعبية والإيقاع الراقص . . . كل هذا
جميل . . . ولكنها تمثل جواً آخر مختلفاً تماماً عن الجو الذى بدأ منه لحن « أنا . . .
واللى باحبه . . . »

ولكن . . . هكذا كان فريد الأطرش !
لقد أحب الجمهور دائماً ، وعمل له ألف حساب دائماً ، ونجح فى التعامل معه دائماً .
وفى وسط هذا كله استطاع فريد أن يحتفظ لنفسه بالشخصية الغنائية المتميزة
الواضحة البسيطة المحبوبة .
فى الواقع أن فريد الأطرش كان فناناً عظيماً فى عصره . . . وصديقاً لا يعرض
فى صداقته . . . وإنساناً لا يبارى فى بساطته .

محمد عبد الوهاب

فرید اللہ طریقی
فناںِ اُحِبُّ کُلِّ مَسِیءِ



بقلم : محمود الشریف



لا تسألوني عن بدايته . .

فقد كانت بداية فريد الأطرش متواضعة . . وأكثر من متواضعة . لم يكن من بين مجموعة أصدقائه ورفاقه الأول - وأنا من بينهم - من تنبأ له بمستقبل فني . . أو بأى مستقبل على الإطلاق ! كان فريد من البداية مدللاً جداً . . وكان بدوره يحب من الذين حوله أن يدلوه تماماً . . وكان إقباله على الحياة منقطع النظير . إن إنساناً يغمس في الحياة بهذا الشكل ، لا بد أن يجعل أصدقاءه يتساءلون : متى يتفرغ للعمل ؟

ولقد ظل هذا السؤال ملتصقاً بفريد الأطرش من أول يوم حتى آخر يوم في حياته . فلم يكن فريد يخطط لحياته أبداً . . وحتى إذا حدث وخطط لها . . فإن لكل شيء في خطته مكاناً . . إلا العمل !

ولا تسألوني عن فنه . .

فقد كان فريد الأطرش ، ولا يزال ، يملأ بالفن كل الأسماع والقلوب . . على مدى أجيال وأجيال .

إن بعض الناس يولدون وفيهم حرارة المجد بقدر معلوم . . فيمضون في الحياة قدماً صوب قمته . . فلا تلبث الأشواك أن توجعهم وتدمى أقدامهم . . فيسقطون صرعى في الطريق الدامى . . أو ينحرفون طلباً للخلاص والنجاة . . تائهين في الطريق

الآخر المجاور تماماً لطريق المجد . . أما القليلون الذين يصمدون من هؤلاء . .
 فيمضون في الطريق . . تدمى الأشواك أقدامهم أحياناً . . وتتكسر الأشواك تحت
 أقدامهم أحياناً . . ولكنهم يصلون حتماً إلى نهاية الطريق .
 وهذا هو ما حدث لفريد الأطرش .

كنت قد حضرت من الإسكندرية إلى القاهرة في نهاية الثلاثينات ، وتوصية
 من صديق لى يعرف السيدة بديعة مصابنى . . استطعت أن ألتحق مطرباً بفرقتها . .
 وأن أبدأ فوراً فى الاشتراك فى استعدادهم للموسم الشتوى . . وهو الموسم الذى كان
 على الأبواب وقتها . . وكان استعدادهم له يجرى على قدم وساق .
 ومن بين هذا الحشد الهائل من مثلين ومثلات . . وموسيقين وراقصات . ومطربين
 وعازفين ومطربات . . لفت نظرى شاب فى العشرين من عمره . . وسيم الطلعة . .
 نبيل القسيات . . حاد الملامح .

كان هذا الشاب هو فريد الأطرش .

وكنت أراه وسط هؤلاء . . متأبطاً عوده دائماً فى فخروثقة واعتزاز .

كان نجوم الغناء فى صالة بديعة وقتها أربعة : إبراهيم حموده . . بصوته الجهورى ،
 وأناقته الزائدة ، وجمهوره العريض . . ثم محمد عبد المطلب . . بصوته العذب
 النفاذ . . وأغانيه المحبوبة ، وشعبيته الساخنة . . ثم فريد الأطرش . . بصوته الناشئ
 غير المستقر بعد . . وسامته الروحية . . وأغانيه السورية واللبنانية ، وغيرها من الألوان
 الشعبية الفولكلورية ، وبعرفه الممتع المعجز . . وجمهوره الذى ما زال بعد فى بداية
 نموه .

أما رابعهم فكان سيد فوزى . الذى كنا نسميه وقتها « مطرب الطوارئ » . .
 فهو المطرب الاحتياطى دائماً !

وعند انضمامى للفرقة عند بديعة مصابنى . . كان طموحى قد صور لى بأننى سوف

أكون بغير شك النجم الأول في عالم الطرب .

ولكن التصور شيء . . والحقيقة شيء آخر .

لقد تحولت من مطرب إلى عازف عود متواضع . . وفي أغلب الأحوال كان يسند إلى بعض الأدوار الثانوية لكي أقوم بتمثيلها في الروايات والاسكتشات .

ولم يكن فريد الأطرش يتم التعامل معه في هذا الجو كله باعتباره مطرباً . . وإنما كانت صفته البارزة فيه وقتها هي أنه عازف على « العود » . إنه ، في معظم الأحيان ، يصعد إلى المسرح لكي يقدم عزفاً مصاحبة المطرب الأول للفرقة . . وهو إبراهيم حمودة ربما من أجل هذا كان فريد الأطرش مقلداً وقتها في ظهوره على المسرح . . بل إنه لم يكن داخلًا في البرنامج الثابت والمنظم للعمل .

وكانت السيدة بديدة مصابني تدله . . وتخصه بمعاملة متميزة . . ولا تضيق عليه لهذا تركت له حرية الظهور عند ما يشاء . . وفي الوقت الذي يريد . . إنني عرفت فيما بعد أنها تترك له - بهذه الطريقة - فسحة من الوقت لكي يمارس دراسته الموسيقية والفنية في المعهد صباحاً . . وبعد الظهر عند أستاذه الموسيقار الإيطالي . . الذي كان فريد يتلقى عنده وقتها دروسه الخصوصية في الغناء .

وفي الوقت نفسه كان فريد كثير التردد على مقهى المطرب محمد العربي . . وكانت تربطهما صداقة حميمة . . فكان فريد يجلس الساعات الطوال وهو يستمع لصديقه ويحفظ عنه طريقة أدائه وأغانيه ومواويله البلدية والشعبية الأصيلة .

كان فريد من بدايته شغوفاً بالموسيقى . . وبالغناء . . والرقص . . والحياة . . والناس . . والأشياء ، وكأنه كان منفذ وصية مدام « ماري كروللي » التي تقول :

« حاول أن تبتمس . . فإذا كنت وحيداً في الحياة فلا أقل من أن تغني أو تترنم بأحد الألحان . . مثل في الحياة دور الرجل السعيد الذي يملك مليوناً من الدولارات وعشرات السيارات الفارهة . . أضحكك من كل قلبك . . وأحب من كل قلبك . .

فريد الأطرش

أحب الزهور والشمس والأمطار والبحار . . وأحب كل شيء ، حتى الرذيلة والشقاء والدموع والموت . . !

لم تكن هناك فرص عملية كثيرة لعقد صداقة بين فريد الأطرش وبينى . . ولكن ، كانت هناك ألفة بيننا . . تنبعث من زمالة ثلاث سنوات مستمرة . . جعلت الألفة في النهاية دائمة . . والفهم مشتركاً . . والتفاهم قائماً .

كان تفاهماً مقروناً بالمحبة والتقدير والاحترام والأهم من ذلك ، بالاستمرار . كان فريد إنساناً غير عادى فى كل شيء . . بل إنه كان مجموعة ضخمة من المتناقضات . غير أن الصفة الغالبة على كل هذه المتناقضات كانت مركزة فى جملة واحدة . . وهى أن فريد الأطرش كان إنساناً له نبل الفارس . . ورقة الفنان . . إننى أذكر له موقفاً بالذات حدث معى . . وهو موقف يؤكد ما سبق أن قلته عنه فى البداية .

لقد حدث ذات مرة أن عهد إلى بدور غنائى فى اسكتش غنائى عنوانه « قلم المرور » . . من تأليف الروائى المعروف الأستاذ أمين صدق ، وتلحين الأستاذ عزت الجاهلى .

وفى ليلة الافتتاح وقفت داخل المسرح استعداداً للدور . لقد ارتفع الستار وبدأ روبداً . . ثم بدأ الأوركسترا يعزف المقدمة الموسيقية استعداداً للغناء . . ولكن الذى حدث لحظتها هو أننى لم أعثر على بداية اللحن ، الذى تبخر تماماً من رأسى . إننى - فجأة - لم أعد أذكر منه جملة واحدة على الإطلاق ! ولك أنها القارئ العزيز أن تتصور موقفى . . ومدى الورطة التى وقعت فيها . . والارتباك الذى أحسست به . . وأنا أقف أمام الجمهور وجهاً لوجه .

لقد راح الأوركسترا يكرر اللازمة الموسيقية مرة بعد الأخرى . دون جدوى . إننى حاولت وحاولت أن أخرج من تلك الورطة . . بلا فائدة . لقد أصبحت واقفاً

فى جمود يغلبنى الذهول . . وتسيطر على المفاجأة . ويتصبب العرق فوق وجهى .
بغير أن أنجح فى أن أقول كلمة واحدة !

وبينما أنا على هذا الحال . . إذ بى أسمع فجأة صوتاً قادماً من خلئى . . يدس لى
ويصب فى أذنى بداية اللحن . . !

وفوراً . . استطعت أن ألتقط منه البداية . . وبدأت أغنى . . والصوت خلئى
مستمراً مساندى . . إلى أن انتهت من الغناء بسلام . .

وفى النهاية ، عند نزول الستار ، رحت أتلفت حولى . . وإذا الصوت القادم
من الخلف هو صوت فريد الأطرش . . الذى رأيته ما زال مستمراً فى وقفته . . غارقاً
فى الضحك . قائللى مداعباً : « علقه نفوت ماحد يموت يا أبوحنى ! »

إن تلك الصورة الإنسانية تقفز إلى ذهنى فوراً . . بمجرد أن أتذكر فريد الفنان
الإنسان . . والإنسان الفنان .

إن فريد لم يلحن لحناً واحداً فى حياته لفرقة بديعة . . فلم يكن هناك تسليم بعد
بموهبة الموسيقى . ومع ذلك كنت تراه يحتو على - ويرعى - جميع الألحان التى
تؤدى على المسرح . . وكأنها جميعاً من تلحينه ، إنه - إذا لم يكن يعزف يعوده
فوق المسرح - كان هناك دائماً بين الكواليس . . مساهماً بصوته . . مساعداً للجميع . .
ومشجعاً لهم . . بروح سخية وقلب كبير . . مدفوعاً بحبه للفن . . الذى أعطاه عمره
فوجهه الخلود .

إننى أذكر أن فريد الأطرش جاء ذات مساء . . وفى يده نوتة من قطعة موسيقية . .
وذهب بها إلى « مسيو دافيد » رئيس الأوركسترا . لقد وضع النوتة أمامه . . وطلب منه أن
يعزفها . . وكان ذلك وقت الاستراحة .

وسمعت السيدة بديعة العزف . . ولم تمالك نفسها من فرط المتعة . . فأسرعت
وراحت تسأله : ما هذا يا فريد ؟

رد فريد عليها قائلاً : هذه أحدث موسيقى لأحدث رقصة ظهرت فى العالم اليوم .

كانت الرقصة حديثة جداً فعلاً ، وكان اسمها « لاکو کارتشا » وقد أصر فريد لأول مرة على أن يقوم بدور الراقص . . وأن يقدمها للجُمهور فى شكل ثلاثى بـشـرک هو فيه مع السيدة بدیعة . . ومع مدرس الرقص « مسیو ایدى » .

وفعلاً ، كان هذا هو ما حدث ، وقد لاقت الفكرة نجاحاً منقطع النظير .

كان فريد فناناً عنيداً طموحاً لا يعرف اليأس ولا التردد ولا يعترف بالمستحيل . كان يتخذ من عمله وسيلة وهدفاً ومتعة يعوض بها كل شىء آخر . وكان لديه الإصرار على الاستمرار . . برغم المراتة التى كان يحس بها بسبب المناخ الذى يعمل فيه وهو غير راض عنه . . والذى وجد نفسه مضطراً لأن يعمل فيه من أجل لقمة العيش .

إن البلبل المغردة لا بد أن تهبط من السماء لكى تمرغ أنفها فى التراب والطين تبحث عن طعامها . وبرغم أنها تحلق فى الفضاء وتسبح بين السحاب والغمام فإن لها هى الأخرى لحظاتها من اليأس والتردد والتوقف عن الغناء .

ولكن فريداً لم يتوقف أبداً عن الغناء .

لقد كان بطبعه سهلاً متسامحاً لا تغير صفاء الأمور . . متواضعاً إلى أقصى درجات التواضع . . الفن عنده رسالة ومسئولية وكرامة . إن كرامة الفنان عنده مصونة لم تمس . . ما دام الفنان لا يمد يده لأحد .

ولم يكن فريد ، رغم تعلقه منذ بدايته بالغناء ، يرى أى غضاضة فى أن يقوم بدور العازف على العود لمن هم أقل منه شأنًا . . ما دام يريد ذلك .

ولقد كانت لديه قدرة كبيرة على إخفاء ألمه وكظم غيظه . . لكن بشرف وبغير حقد ولا حسد ولا رياء . . وذلك هو الذى جعله يرتفع فوق كل ما صادفه فى حياته من نكسات وفواجع . إن فاجعة واحدة فى حياته - هى موت شقيقته المرحومة أسمهان -

كانت وحدها كفيلة بتخطيطه إلى الأبد . . وبخاصة أن أسمهان لعبت دوراً حاسماً في شق طريق المستقبل أمام فريد في بدايته .

ولكن فريداً ضرب ، في تحمله لتلك الفجيرة ، المثل على صدق القول المأثور : إن العبقري هو الذى يتأثر من البؤس بالعمل . . ومن الحب بالفن . . ومن المرأة بالمجد . . ومن الموت بالحياة . .

وقد لا يعرف الكثيرون أن بعض عمالقة العازفين الآن كانوا يعملون في تلك الفترة ، - وما تلاها - عند بديعة مصابني . . خصوصاً عند ما قرر فريد أن يغنى في حفلى الماتينية كل أسبوع . من هؤلاء العازفين الأساتذة أحمد الحفناوى . . وأنور منسى . . ويعقوب طانيوس . . وإبراهيم عفيفي . . وغيرهم . ولقد ظل فريد على وفائه لهم - وصداقته معهم - بعد أن شق طريقه أخيراً بعيداً عن كازينو بديعة . . بالحفلات الشهرية في الإذاعة وغيرها . . وفي جميع أفلامه السينمائية التى أنتجها . . كان دائماً يتمسك بهم . . من أول لحظة حتى آخر لحظة في حياته .

ولقد كان آخر ما غناه فريد على مسرح بديعة هو اشتراكه كواحد من ثلاثي يضم بديعة وإبراهيم حمودة باسم « الدكتور والمحامي وبدعدع » !

وكانت أول فرصة فنية حقيقية لفريد . . وهى الفرصة التى كشف فيها عن مواهبه الفذة كعازف عود . . عندما قدم الأستاذ مدحت عاصم « الفرسان الثلاثة » . . وهى معزوفة بأساليب هرمونية وكونتر باصية . . لم تكن قد دخلت بعد إلى عالم الغناء العربى .

وكان « الفرسان الثلاثة » هم فريد الأطرش . . وفريد غصن . . ومدحت عاصم . وقد تلى ذلك الحفل الذى أقامته الإذاعة عند قاعدة الهرم . . وقدمت فيها فقرات ترفيهية وفنية مختلفة . وكان نجم الحفل هو فريد الأطرش عندما غنى « عشك يا بلبل دا جنة » وغيرها من الأغاني الحديثة في ذلك الحين .

وكانت آخر كلمة قالها فريد لبديعة عندما اختلفا معاً بسبب امتناع فريد عن السفر مع الفرقة إلى شمال أفريقيا هي : اسمعى . . الفن له كرامة . . وأنا شاب على أبواب الحياة . . وكرامتي في الذروة .

وبذلك بدأ فريد سلم المجد . . عندما انطلق في عالمه الرحيب . . لكي يقدم للعالم العربي أروع الألحان وأعذب الأناشيد وأحلى الأغنيات . . ثم شارك في نهضة السينما بإنتاجه الرفيع . . حتى أصبح علماً من أعلام النهضة الفنية ورائداً من أعظم الرواد الذين أثروا حياتنا الموسيقية والغنائية .

ومع ذلك كله . . فإن أى تقييم لفريد الأطرش لا يمكن بأى حال أن يغفل من حياته الأثر الفني والإنساني . الذى تركته فيه تلك الفترة الأولى المبكرة من عمله مع فرقة بديعة مصابنى .

وإذا لم تكن لتلك الفترة أية ميزة سوى أنها أكدت إحساسه بذوق الجمهور . . فإنها تكون قد حققت الفائدة في حياة فريد . . بمثل ما حققت في حياة الآخرين الذين بدءوا مع فريد البداية نفسها .

أما القيمة الفنية الحقيقية لفريد الأطرش فلم تبدأ طبعاً إلا مع خروجه من فرقة بديعة مصابنى . .

لقد كان أول لحن حقق له النجاح والانتشار معاً هو لحنه المشهور « ليالى الأنس في فيينا » . . الذى غنته أسمهان في فيلم « غرام وانتقام » .

كانت أسمهان هي في الواقع نموذجاً رائعاً للأخت التي تشغل نفسها تماماً بمستقبل أخيها . . لقد كانت هي أكثر من أحس بفريد وفهمه وعرف تماماً حجم موهبته . . وبالتالي حجم الفرصة التي يحتاج إليها لإخراج تلك الموهبة إلى الناس .

كانت أسمهان موهبة صوتية فذة . . وكانت تمثل فعلاً لوناً صوتياً وغنائياً متميزاً ، لم يألفه الناس من قبل ، مع أنهم بمجرد أن يسمعوها كانوا يألفونها فوراً . . إن

أسمهان المطربة كانت تشجى الناس حقاً . . وتؤثر فيهم تماماً . . ومن يسمعها مرة . . لم يكن يقدر له أن ينساها بعد ذلك مطلقاً .

وقد ساعدت أسمهان أخاها فريداً مرتين : مرة بصوتها الناجح المتع المنتشر . . ومرة بحجم الفرص التي كانت تفتنصها لفريد وتدفعه هو أيضاً إليها .

من أجل هذا كانت خسارة فريد بموت أسمهان خسارة مضاعفة . إنها خسارة عاطفية لأخت . . وفوق ذلك خسارة عاطفية لشريكة فن ومستقبل .

وكما ذكرت من قبل ، فإن فريد استطاع مع الوقت والإرادة ، أن يتغلب على تلك الفجعية الشخصية ويدفنها في داخله . . منطلقاً لتحقيق ذاته في المجال الفني العريض والخصب الذي انشقى أمامه وشقه لنفسه .

إن موهبة فريد الموسيقية ، التي اعترض كثيرون عليها في البداية ، قد بدأت مع العمل والنجاح والزمن تتألق تماماً . . بحيث إننا نعلم جميعاً مدى النجاح الشعبي الذي حققته ألبانه مثل « أول همسة » و « الربيع » و . . أخواتها .

وربما تكون تلك الأغاني هي من الحالات القليلة في الغناء العربي التي لم ينتقص الزمن من حلاوتها ولا من عذوبة موسيقاها . . بل أضاف إليها جمالا فوق جمال .

أما فريد كصوت يطرب الأسماع والأفئدة . . فلقد كان يتميز في الواقع بصفات ممتازة كثيرة . . لم يكن يقلل منها طابع الحزن الذي اتسم به سنوات طويلة .

إن المستمع يستمع إلى صوت يغنى لأنه يعطيه في الحقيقة متعة معينة : إنه يشعر بالفرحة معه . . أو بالتفاؤل . . أو بجمال الدنيا . . أو بإشراق الحياة . . أو بحلاوة المستقبل . . أو بالنشوة . . أو بالمرارة . . وفريد الأطرش لم يكن يتعمد المرارة في صوته وأغانيه ، لقد كانت المرارة موجودة فعلا ، وبأحجام كبيرة ، في حياة فريد . إنه كان يحاول طبعاً التغلب عليها . . عن طريق النوع الخاص من الحياة الذي اختاره لنفسه . . حياة فيها من المتعة والانشرح والغرام والحب والتفاؤل والتسلية واللهو ما يجعل الإنسان

يتساءل في النهاية : متى إذن يجد فريد الأطرش وقتاً للعمل ؟ أو . . من أى ثقب في حياته الصاخبة خرجت كل تلك الأغاني والألحان والاستعراضات ؟ ولكن . . ذلك كان مجرد واحد من المتناقضات الكثيرة التي احتشدت بها حياة فريد الأطرش ، منذ نفس اللحظة الأولى التي عرفته فيها .

ومنذ عرفت فريداً كعازف ومطرب وملحن موهوب . . فإنني عرفت فيه أيضاً «المستمع الموهوب» ! إنه يعرف بالضبط - بإحساس الفنان الحقيقي - كيف يستمع لأعمال غيره . . وكيف يفعل بها بغير أن تؤثر هي عليه . . وكيف يرى فيها نواحي الجمال والمتعة قبل أى شيء آخر . إنه لم يكن يجد غضاضة أبداً في أن يعترف لغيره مرة بأنه تفوق عليه . . أو بأنه بلغ القمة في عمل من الأعمال . . ذلك لأن فريداً في داخله لم يكن غيوراً بأى حال من الأحوال . . ولا كان حاقداً أو شريراً أو خبيثاً . . وبالعكس هذا كله . . كان فريد طيب القلب دائماً . . تقى الضمير دائماً . . صافى النفس دائماً . .

* * *

وأخيراً . .

إنني لا أظن أن هناك من ينكر أن الذين جاءوا بعد سيد درويش قد أضافوا الكثير . . وعمقوا الكثير . . وقدموا الكثير . . وضوروا الكثير . .

ولسوف يأتي غيرهم . . لكي يضيفوا ، ويعمقوا ، ويقدموا ، ويطوروا الكثير أيضاً . .

فمن غير المعقول إذن أن يقف التقييم الموسيقي أو الفنى عندنا . . عند سيد درويش . . وإلا فإن معنى ذلك هو الحكم من الآن باستحالة تطوير الغناء العربي أو تجديد الموسيقى الشرقية .

وليس من شك في أن الذين جاءوا بعد سيد درويش لم يكونوا بأى حال من الأحوال
 نسخاً منه . . ولا كانوا صدى لأحد ممن سبقهم . . إنهم - في الحقيقة - استطاعوا أن
 يقفوا بفنهم إلى جانب من سبقوهم بما قدموه من أعمال جديدة تحمل لون وطعم ومذاق
 وإبداع جيلهم هم .

وفي هذا المجال . . فإن فريد الأطرش هو بغير جدال واحد من هؤلاء . .

محمود الشريف



من قتل فريد الأطرش؟!!



بقلم : جورج إبراهيم الخوري

الأستاذ جورج إبراهيم الخورى هو الصحفي اللبناني المعروف . . ورئيس تحرير مجلة « الشبكة » . . والصديق الذى اختارته نقابة المحررين فى لبنان لكي يتحدث عن المرحوم فريد الأطرش .

وقد حالت ظروف الأستاذ جورج إبراهيم الخورى من الحضور إلى القاهرة بنفسه . . فأرسل إلينا هذا الفصل من بيروت . . حرصاً من جانبه على المساهمة فى هذا الكتاب . . وتجاوباً مع الفكرة التى تحرص عليها لجنة تكريم الموسيقار فريد الأطرش .



شرف لى أن أكتب فى هذا المقام عن فريد باسم نقابة المحررين اللبنانيين . وشرف
أن ترتفع إلى هذا المقام نقابات الفن فى لبنان .
وشرف أن ترتقى هذه الرفعة إلى سدة تكريم من كنت أشتى أن يكون تكريمه فى حال
حياته ، ولكن . . .

كم قتلت وكم قدمت عندكم
ثم انتفضت فزال القبر والكفن
قد كان شاهد دفى قبل قولهم
جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا
ماكل مايتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

أبو الطيب المتنبي سبقنا زمناً فى التمنى اليائس ، حتى ذهب يأسه مثلاً وحكمة . .
ولو أنه عاش فى عصر الأمير الفنان فريد الأطرش ، لا فى عصر الملك الأستاذ كافور ،
لما توانى عن إنشاده :

وما طربى لما رأيتك بدعة
لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

وتعدلني فيك القوافي وهمتي
 كأني بمدح قبل مدحك مذنب
 ولكنه طال الطريق ولم أزل
 أفتش عن هذا الكلام وينهب
 فشرق حتى ليس للشرق مشرق
 وغرب حتى ليس للغرب مغرب

كان أميراً وكان أستاذاً . . أمير أصل وفصل وحسب . . وأستاذ فن وعود
 طرب . .

وجبنا له نحن هنا في لبنان ، لم يكن فقط حب أذن لصوت ، أوحس لوتر ،
 أو قلب لحب ، بل كان أقوى وأوثق وأعظم جذوراً . كان - وقد ندرى هذا أو لا ندرى
 - حب العرق للعرق ، والعصب للعصب ، والدم للدم .
 إن فريداً الأطرش كان لكل العرب ، ولكنه كان في الأصل لبنانياً .

كان من جبل لبنان قبل أن يسترد جنسيته الأصلية بهوية تتعاقب فوقها أرزة الرب !
 الأمراء الطرشان في الجبل الأشم . . جبل الدروز الأجاويد . . هم كما يقول
 مؤرخوهم من الأمراء المعنيين . . من سلالة الأمير اللبناني البطل فخر الدين المعنى . .
 وقد نزع الأمراء المعنيون عام ألف وسبعمائة ، منذ مائتين وخمسة وسبعين سنة ،
 إلى سورية الحبيبة . . سورية الشقيقة . . سورية البطلة . . واستوطنوا جبل
 العرب الذي تفجرت منه بنايع الأحرار والرجال والأبطال . .

من صلبهم انحدر أول موسيقار لهم يحمل اسم عائلتهم النبيلة . . وللحق والعدل
 والتاريخ نسجل أن أمراء الجبل كانوا متحفظين في الخط الذي انتهجه ابنهم في طريق
 الفن

فالفن لم يكن يتفق في مطلع هذا القرن مع الأعراق والرصانات والتقاليد . لكن

الأمير الشاب فريد الأطرش الذى ولد الفن فى دمه . . كما ولد الطموح والانقشاع
واستباق الزمن . . أصر وغنى واحترف . . .

عندئذ انعقد مجلس العائلة العريقة . . وقرر مراقبة فريد فى حقله الجديد . .
حتى إذا ما حافظ على مستواه ومستوى الجبل . . باركوه . . وإلا حاسبوه . . .
وبعد سنوات باركوه وعانقوه وجللوه بأكاليل الغار . . . كان فريد يفاخر
بالإنتساب إلى جبل العرب ، فإذا بكل الجبال العربية تفاخر بالانتساب إليه .
خلق ونبل وشهامة عربية .

ونبوغ وتصور وعبقريّة موسيقية .

وعطاء واقتدار وقيمة فنية .

ولو ساد العقل فى الناس لما كان الرسل الأنبياء . . ولو سادت الحكمة لما كان
الفلاسفة والحكماء . . .

ولو ساد الفن الرفيع . . لما كان فريد الأطرش . .

ولما كنا هنا نحى ذكراه . .

ذكراه ياما أمرها على قلوب الذين يتذكرون . .

فالذكرى أخت الرحيل . . .

والذكرى بنت الغروب . . .

والذكرى أم الغياب . . الغياب الأبدى .

ولكن ، هل يغيب من نسمع صوته فى كل الأقطار ؟

هل يغيب من نظرب لشده على جميع موجات الأثير ؟

هل يغيب من تتردد ألحانه على سائر الحناجر ؟

هل يغيب من ترتسم صورته على صفحات الصدور ؟

هل يغيب من خلد الشرق فى موسيقاه ، وفتح للفن معاهد الجمال ، وشق للغناء

دروب الأزل ؟

هل يغيب من هدم بفيه كل السدود ، واجتاز بصوته كل الحدود ، وجعل من بلاد
العرب جامعة « عربية » حقيقية ، تلتقي كلها في المعهد الموسيقى ؟
هل يغيب من سقاه فنه من تربة كل أرض سمراء ، فإذا هو حامل جنسية
روحية من كل بلد عربي ، وحامل جنسية رسمية من سوريا ومصر ولبنان والسودان ؟
مثله لا يغيب .

ومثلنا يفاخر الأجيال بأنه عاش في عصر فريد الأطرش .
عاشناه حياً ، وعاشناه راحلاً . . . حتى الجسد والروح ، وراحل الجسد وحده .
نحن سعداء بهذه المفارقة التي وفرها لنا الموسيقار الكبير الراحل .
ومن عجب الدنيا أن تنبثق السعادة أحياناً في معرض الحزن . . وينبثق الحزن
في معرض السعادة .

° ° °

فباسم نقابة المحررين اللبنانيين .
وباسم نقابات أهل الفن في لبنان .
وباسم كل من يؤمن بالفن وبرسالته السامية .
نطالب الدولة هنا - في لبنان - بأن تقيم لفريد الأطرش في لبنان تمثلاً . .
وإذا أردنا التحديد ، فليكن هذا التمثال على مدخل المربع العالي ، مربع البيسين
في عالية . . في عروس المصايف التي طالما أسهم فريد الأطرش في إنعاشها وازدهارها
وإحيائها .

هناك على تلك الراهية . . يرتفع التمثال . . وهنا على هذا المنبر . . تنتصر
الكلمة وهي تعظم فنناً رفيعاً للجمال في كل قلب مثلاً ، واختار لبنان . . وطنه
الأصلي الأصيل . . ليكتب فيه آخر كلمة من كلمات حياته وآخر حرف من حروف

خلوده ، بعد أن اختطفه منا الموت .

ولقد بدأت رحلة فريد الأطرش مع الموت . . . قبل أن يموت فعلا بشهرين !
 فقبل وفاته بشهرين كان في القاهرة يمثل آخر لقطات فيلمه الجديد « نغم في حياتي »
 في إحدى فيلات شارع سليمان باشا . عندما قال له المخرج هنرى بركات : - يجب
 أن تستبدل بنطلونك هذا بينطلون آخر . وخلع فريد بنطلونه ، ثم نزع منه كل ما يحتويه
 من نقود وأوراق و . . . مصحف صغير موضوع في كيس ذهبي اعتاد أن يدسه
 في الجيب الأمامي ضمناً لحفظه وصيانتة وعدم ضياعه . ومثل ما تتطلبه اللقطات ،
 وعاد إلى الطاولة ، ثم ارتد صارخاً : طار المصحف .

وتقدمت منه صديقتة ورفيقتة ومديرة أعماله دينيز جبور . . وقالت له :

- مابك تصرخ ؟

قال وهو ينقب في الطاولة وتحتها وحولها .

المصحف يادنيز ، تركته هنا !

وبحثت دينيز عن المصحف فلم تجده . . . وسألت عنه جميع العاملين في حقل
 تلك الفيلا ، فلم تلق رداً . . .

لقد امتدت إليه يد خفية وسرقته . . . وأطرق فريد وهو يلهث ، ثم بدت على
 وجهه المتجهم علامات التشاؤم وهو يقول . . .

خلاص . . . انتهى الأمر !

وقالت له صديقتة :

- ماهو الأمر الذي انتهى ؟

قال فريد وقد لمعت عيناه الغائرتان ببريق دمع :

كان هذا المصحف ضماتي وحرزى وصلاتي التي تبعد الشر عني . . . أما الآن
 فقد أصبحت بلا سلاح مقدس .

قالت الصديقة :

- لا تخف . . . يكنى أنك مؤمن بالله .

ولم يجب . . . بل للم نفسه ومشى . . . كان هذا المصحف المبارك الثمين هدية
عزيزة على قلب فريد ، من سامية جمال . . . أهدته إياه منذ خمس وعشرين سنة ،
يوم كانت في قمة حبها له . . . قالت له ذات ليلة من ليالى البحث عن تنويع ذلك
الحب الكبير بالزواج .

- لا أملك أثنى من هذا المصحف لأقدمه لك عربون حب ووفاء . . . احفظه
يا فريد . . . لأنه يقيك من كل الشرور .

وحفظه فريد الأطرش طوال خمس وعشرين سنة . . . لم يتركه يوماً واحداً . . .
وكان كلما اشتد به الألم وأحرق الخطر وعصف الشر أمسك بالمصحف وأغمض عينيه
وهتف : يارب .

ويشعر إذ ذاك بقوة جبارة تتسلل إلى جسده فتشد أزره وتبعد عنه المخاوف والهواجس
والأخطار .

والآن ، وبعد ماضع المصحف أو سرق أحس فريد بما كان قد أحس به شمشوم
الجبار إذ قصت دليلاً شعره .

وتشاع الموسيقى المألوفة وأطلق كلماته الثلاث الرهيبة :

(خلاص . . . انتهى الأمر)

آخر كلمات قرأها .

ومن يومها تبدل إحساس فريد الأطرش بالحياة . . . وكان كلما مد يده إلى
جيبه الصغير باحثاً عن المصحف الضائع ، تتم بصمت : ياساتر يارب .
. . . إلى أن كانت رحلته الأخيرة إلى لندن .

لقد حان موعده المحدد في لندن العاصمة البريطانية التي كانت تحمل بلسم

الشفاء لفريد فقرر أن يرحل في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني الماضي ،

وليلة سفره اتصل بنا نحن النخبة من أصدقائه وقال لنا :

ألا تأتون لتودعوني ؟

قلنا له :

— لقد جمعنا أنفسنا وقررنا السهرة في بيتك هذا المساء لنودعك . .

واستراح على التلفون وقال بحبور :

يا الله . . .

كانت المرة الأولى التي يطلب فيها فريد من أصدقائه الحميمين أن يودعوه . .

كان قلبه دليله . . وكان في داخله صوت يدوي ويقول قد تكون هذه هي رحلتك

الأخيرة يا فريد . . . وساهرنا في بيته .

ولاطفناه وسابرناه واستدرجناه في قصصه الخاصة التي رواها بكثير من السلامة

والإثارة والتفاصيل الدقيقة . . الأمر الذي حمل أستاذنا الكبير سعيد فريجة على أن

يقول له :

— أنت أخطر سينارست رأيته في حياتي .

وما إن حلقت به الطائرة حاملة إياه مع رفيقته الدائمة دنيز جبور إلى لندن ،

حتى كان صاروخ الشبكة يوجه إليه القذيفة التالية :

عزيزي فريد :

مساء الأربعاء الماضي سهرت في بيتك الأنيق الذي تفوح من كل ركن فيه رائحة

الفن . لأودعك ليلة سفرك إلى لندن في رحلة سنوية تقليدية تعرض قلبك خلالها على

صديقك البروفسور جيسون ، وكان في بيتك كل الذين تحبهم ويحبونك وهم نخبة

مختارة من صفوة الأصدقاء والأقرباء والأحباب ، ومع أنك كنت متعباً ومرهقاً وخارجاً

لتوك من أزمة صحية مداهمة استوجبت استدعاء طبيب إلا أنك سهرت وسأبرت ورويت

قصصاً استدرجت أقاصيص . .

وأنت والحالة هذه . . أشرق وجهك وشعت ابتسامتك وبدوت وكأنك أنت
السليم المعافى ونحن المرضى . . بك وبحبك وبشخصيتك الحلوة !
وأنا واثق من أن الدكتور جيسون لن يقول لك أكثر مما قاله في السابق : عش
كما أنت . . فأنت مثل لبنان . . فوضى منظمة . .

وأعتقد أن سر عمرك كله يكمن في حبك للحياة ، وللناس ، وللأصدقاء
بنوع خاص . . بينهم تحيا ، وبينهم تنتعش ، وبينهم تنسى قلبك ولكنك لا تنسى
حبك وعطاءك وتضحياتك الدائمة .

من قلبي أتمنى لك عودة ميمونة إلى لبنان وإلى أهلِكَ وعشيرتك وجماهير الشعب
العربي الكبير الذي منحك كل هذه القدرة على الحياة .
وألّف نقرة على خشب الورد .

وقرأ فريد القذيفة في لندن كلينك وفرح بها . . أسعده أن يذكره محبوبه في غيابه
كما يذكرونه في حضوره . . فالوفاء كان عقدة الأطرش المزمّة . . وكان أكثر
ما يؤلّه ويعذبه ويمزق قلبه فوق ماهو ممزق أن يغدر به صديق كان يحسبه وفياً .
أقول هذا لأسجل أن فريداً كان سعيداً بآخر كلمات قرأها في حياته وكانت هذه
الكلمات من قلب الشبكة .

نصف القلب تعطل ، ،

لكن السعادة الروحية التي وفرتها له الشبكة لم تلبث أن تبددت ليحل محلها
الضيق والتبرم والثورة الجامحة . .

تضايق فريد في لندن كلينك فتركه وتوجه إلى أوتيل هيلتون وهو في أقصى حالات
المرض . . ثم مالّبث أن سارع باستدعاء طبيبه المزمّن جيسون الذي نقله فوراً إلى

برومبتون هو سيبتال . . . وأخضعه من جديد للفحص الدقيق . . . وهز الطبيب رأسه يأساً وقال له . . . كنت تعيش بنصف قلب وها هو نصف النصف قد تعطل . . . بت تعيش يا صديقي بربع قلب .
وتقول دنيز جبور :

وصعق فريد . . . وازداد ارتباكاً عندما تركه جيسون مع مساعديه ليذهب إلى أليك أند . . . يذهب مساء الجمعة ولا يعود إلا صباح الاثنين تاركاً مريضه الموسيقار العربى الكبير فى حالة الخطر .
وتضيف دنيز :

والأخطر أن جيسون منع عن فريد حبوب الديكوكسين التى تشد عضلات القلب طوال خمسة عشر يوماً . . . لماذا . . . لست أدرى كل ما أدريه أن حالة فريد الصحية والنفسية قد انهارت تماماً .
وأكثر - تستطرد دنيز - دهمت فريد نوبات بكاء . . . كان كلما لمح الدواء فى يد الممرضة بكى كالأطفال . . . وصرخ : ارحمونى . . . لم أعد أحتمل أى دواء . . . وكان كلما أرخى الليل سدوله . . . ورحل الزوار . . . استسلم للبكاء والنحيب . . . وكان كلما تلمس المصحف الشريف الذى أضاعه فى القاهرة سالت من عينيه الدموع وهتف : ياساتر يارب .

° ° °

وأخيراً . . . قال الدكتور جيسون لدنيز . . .
- أنصحك بإرجاع فريد إلى وطنه . . . وفهمت دنيز . . . فهمت أن جيسون نزع يده من فريد وأنه يفضل له أن يموت فى بيته وبين أهله وأقربائه وأصدقائه على أن يموت فى عاصمة الشباب التى لا أهل فيها ولا أقباء ولا أصدقاء .

ثلاث سهرات وحلم مربع . . .

ودع فريد الطبيب البريطاني الذى تعرف عليه منذ ثمانية عشر عاماً بقلب كامل ولوعليل وتدرج معه إلى نصف قلب . . ثم إلى نصف النصف ثم إلى دقائق بطيئة مثاقلة . . كأنها دقائق الطبول الحزينة فى مجاهل الموت .

وفريد لا ينام . . إنه صديق الليل وعدو النهار . . فألى أين يذهب وكل ما فى لندن يغرى بالسهر . . ؟

ولأنه يحب أن يتسلى فقد ذهب إلى نادى بالم بيتش . . فلا شيء يخفف عن فريد ثقل الحياة مثل اللعب . . إن اللعب ينسيه مرضه . . ويعزله عن العالم الخارجى . . ويسكنه فى بيت مغلق تدور فيه « بلية » بيضاء حول سبعة وثلاثين رقماً مع الصفر . . اسمها الروليت . .

سهر هناك حتى الصباح . .

وطوال ثلاثة أيام سهر حتى الصباح . . ولم يبال بالخسارة سواء كانت بسيطة أو فادحة لأن فريداً لا يلعب ليكسب . . بل ليتسلى . . وفى اليوم الرابع لم يتسل بل نام فى الفندق نوماً عميقاً تخلله حلم مربع .

حلم بأن المرحومة أمه السيدة علياء المنذر تتدثر باللباس الأسود وتبكي عليه . . وبالقرب منها تقف شقيقتها السيدة طرب بالحجاب الأسود وتشاركها البكاء .

وصحا من النوم مذعوراً وهو يروى لدنيز مارآه فى الحلم ويحاول أن يطمئن نفسه ويقول . . ولكن أُمى لن تأخذنى إليها . . قالت له دنيز وهى تهدئ من روعه :

لا تخف ، كلنا نحلم ، ولا يتحقق شيء من أحلامنا . . .

- ولكنها لن تأخذنى إليها . .

- خيراً إن شاء الله . . يبدو أن نفسها تطلب الرحمة . . فصلى لأجلها . .
 - دعينا نساfer ، أريد أن أرجع إلى بيتى . .
 وفى الطائرة التى كانت تنقله من لندن لتعيده إلى بيته فى لبنان . . تردد على لسانه
 عبارة واحدة فقط :

يارب أوصلى إلى بيتى . . ارحمنى ولا تدعنى أمت فى طائرة !
 وكانت دنيز تكفكف دموعها الصامتة . . وتشاركه النداء فى سرها . . ثم تبسم
 وتقول :

- كل عمرك وأنت تطلب من ربك ألا يميتك فى طائرة أو فى سيارة أو فى شارع
 فلا تخف . . إن الله يحب الذين يسبحونه بأصواتهم الجميلة . .
 - أنت تعرفين أن من أقدس أمانى أن أموت على المسرح أمام الجمهور الحبيب . .
 ولكنى الآن فى طائرة . . وكل ما أرجوه أن أصل إلى بيتى حياً . .
 - هل تسمح بأن نخلصنا من الحديث عن الموت . . يقطع الموت ويقطع ساعته . .
 وأطلق فريد زفرة حرة من أعماق صدره وقال لدنيز :
 يادنيز . . . إن أيامى معدودة . .
 قالت دنيز :

بعيد الشر . . .
 - أعطىنى أيضاً حبة إيزورديل . .
 - يكفى إيزورديل . . تناولت حتى الآن ست حبات . . حبة واحدة توسع
 شرايين القلب . . فكيف بنصف درينة ؟
 - أعطىنى حبة سابعة نفسى يضيق فى صدرى .
 وأعطته حبة سابعة . . واستجاب الله لنداء فريد فحطت الطائرة بمطار بيروت
 يوم الأحد ووصل سالماً إلى البيت .

إلى سن الفيل ، ،

وفي البيت كانت خطيبته السيدة سلوى القدسي تحيط به وترعاه وتشرف على راحته . لكنه لم يتم فقد انتابته أزمة ألم شديد كادت تمزق صدره تمزيقاً . . لقد تضخم القلب كل التضخم . . ومع القلب تضخم الكبد . . واحتلك القلب بالكبد فسبب الألم الشديد .

وجاء الدكتور إبراهيم الحجار . . وأمره فوراً بالانتقال إلى المستشفى القريب مستشفى الحايك في سن الفيل . . ورفض فريد . . لكن الطبيب أصر . . فقال له فريد . .

إذا أدخلتني الاثنين فتى تخرجني ؟ وفكر الطبيب قليلاً . . وقال - الخميس . . وقبل فريد . .

وفي الجناح رقم ٢٠٢ بمستشفى الحايك دخل الدكتور حجار في صراع مع الموت ، محاولاً إبعاد شبحه الرهيب عن الموسيقار الصديق . .

يوم الاثنين كان يوم الخطر المدهم . . فقد توقفت كليتا فريد عن العمل . . وتعباً جسمه بالماء . . فوق التضخمين القاتلين . . تضخم القلب وتضخم الكبد . . وأيقن الطبيب أن الحالة خطيرة جداً . . ولم ينكر هذه الحقيقة الأليمة عن خطية فريد ورفيقته وذويه وفي مقدمتهم شقيقه منير ، وقربيه السيد رياض جنبلاط زوج السيدة كاميليا ابنة المرحومة أسمهان . . وقرروا استدعاء الأخ الأكبر الغائب في الكويت السيد فؤاد الأطرش . . الذي ذهب من القاهرة إلى درة الخليج ليحتفل بعيد الأضحى مع بعض أصدقائه فتولى منير أمر الاتصال التليفوني به واستدعاه على جناح البرق . .

لكن الطبيب اللبناني المشهور استطاع بعلمه وبراعته أن يبعد الألم عن فريد . . .

ويجعله ليل ذلك الاثنين . . ينام حتى الصباح . .

ويوم الثلاثاء تحسنت صحته ولكن الزيارات ظلت ممنوعة عليه . . سلوى
القدسى ودينز جبور وحدهما ، كانتا تملكان حق الدخول إلى جناح الموسيقار العليل .
يوم الأربعاء أشرق وجه فريد ورفع الطبيب يديه إلى السماء وقال : معجزة .
ثم اقترب من منير الأطرش وقال له :
اجعلوا تاريخ ٢٣ من كل شهر . . عيد ميلاد جديد لشقيقكم فريد . .
ويوم الخميس صبحا فريد تماماً . . ولكن أحداً لم يكن يعلم أنها صحوة الموت .
قال لشقيقه فؤاد الأطرش الذى وصل لتوه من الكويت .
- اذهب إلى السينما واحضر فيلمي الجديد « نغم في حياتي » وأعطيني رأيك
الصادق به . . احضره أنت لأن القدر ضن على بحضوره مع الجمهور . . مساء
الاثنين أدخلوني إلى المستشفى ولم يأخذوني إلى السينما . .
ونظر فريد إلى صديقه روبر خياط . . وسأله عن أغاني الفيلم الثلاث حينما
حبينا ، علشان ماليش غيرك ، وياحبيني ياغايين . فقال له .
- أنزلناها اليوم إلى الأسواق . . وتطلع إلى طبيبه الخاص وقال له :
وعدتني أن تخرجني من المستشفى يوم الخميس . . واليوم هو الخميس . . فلماذا
لم تف بوعدك ؟
أجاب الطبيب . . لن أخرجك من هنا قبل آخر السنة . . اهدأ ودعني أعمل
وأتكمل على الله . .

آخر الوجوه والكلمات :

وفى تمام الرابعة من بعد ظهر الخميس الواقع في ٢٦ كانون الأول ١٩٧٤ تسلل
شبح الموت إلى جناح الموسيقار الكبير فريد الأطرش في مستشفى الحايك بسن الفيل .

كان في جناحه وجهان حبيبان . وجه سلوى القدسي ووجه رياض جنبلاط .
أما دنيز جبور فكانت قد ذهبت إلى مطار بيروت لتسأل عن حقيقة فريد الضائعة
إنها حقيقة تحتوى على جميع التقارير الطبية والصور بالأشعة التي أخذت لفريد
في لندن . . . لقد ضاعت هي الأخرى ما بين لندن وبيروت ولم يجدوها حتى الآن . .
قال فريد لسلوى :

إني جائع .

فتقدمت منه وفي يدها كاسة مهلبية ووضعت بفيه ملعقة . . ولكنه لم يقو على تقبل
ملعقة ثانية .

قال لسلوى :

عاد الألم إلى صدري . . إني متضايق . .
وأسرعت سلوى تستدعي الممرضة الفرنسية التي جعلوها راعية لفريد . . وتتصل
تليفونياً بالدكتور حجار . .

واقرب رياض جنبلاط من فريد يمسه بيديه . . فقال له :

- إننى متضايق يا رياض أنقذونى !
- ما بك ؟ بماذا تحس ؟
- بحرق محرقة في باب معدنى . .
- ماذا أكلت ؟
- ملعقة مهلبية . . دخليكم أنقذونى . .
- تعال ارفع رأسك قليلاً عن الوسادة . .
- ارفعنى . . ورفعه قليلاً عنه يريحه ولكنه لم يسترح . . ودخلت الممرضة
الفرنسية وهي تحمل جهاز أوكسجين وضعت على فم فريد وأنفه فصرخ بها :
- أبعديه عنى . . أكاد أختنق . .

- إنه يريحك . . يا رياض . . أرجوك . . مدد رجلى على السرير . .
 - إني لا أستطيع أن أحركهما ومد رياض يده اليمنى إلى ساقى فريد ليمدهما . .
 وأسند رأسه بيده اليسرى وأخذ يزيحه قليلاً . . وفجأة . . تلاشى فريد بين يدي
 رياض . . وسقط رأسه على الجدار القريب واصطدم به .

وهنا كان قد وصل الدكتور حجار مع معاونيه فأخذوا يدلكون قلبه وجسمه
 سريعاً ولكن . ولكن فريد كان قد لفظ آخر أنفاسه .

كان فريد قد مات .

من عجائب القدر ، ،

لقد وعده الدكتور حجار بأن يخرج من المستشفى يوم الخميس ، فوفى بوعده . .
 أخرجه ولكن ميتاً . . وأخرجه محتطاً إلى بيته في اللوزة .

وإلى بيت الطائفة الدرزية في بيروت . . وإلى القاهرة حيث أوصى بدفنه
 قرب شقيقته أسمهان ومن عجائب القدر أن فريداً ولد في عيد الأضحى ومات في عيد
 الأضحى . وأسمهان ولدت في الماء وماتت في الماء . .

كانت أمها حاملها . . وهى في باخرة متوجهة من بلاد الأناضول إلى لبنان
 عام ١٩١٩ حيث عين والدها الأمير فهد الأطرش متصرفاً على منطقة حاصبيا
 في عهد العثماني .

وفي البحر ولدتها . وشاء والدها أن يسميها « بحرية » تيمناً بالبحر . . ولكن
 والدتها رفضت هذا الاسم وفضلت عليه « أمل » . . ولما احترقت الغناء كانت « أسمهان »
 ثم ماتت أسمهان غرقاً في الرعة . . وقد أكرم ربه فلم يمته في طائرة أو في سيارة
 أو في شارع بل أماته في بيته وبين أهله وأحبابه ومعهم الملايين التي أحاطته بقلوبها
 في كل بقعة من بقاع الأرض .

من قتل فريد ؟

و يبقى السؤال الكبير الذى لاح على شفاه الناس وهم يذرفون الدموع على موسيقارهم المحبوب . . ويرددون : إنه لا يزال صغيراً . . فلماذا مات ؟ وهل هناك من تسبب فى موته ؟

هل هناك مرض القلب وحده ؟ هل هناك العلاج الذى لم يكن واقعياً ؟
هل هو الدواء الكثير ؟ هل هو السهر الطويل ؟ هل هو العذاب الدائم ؟
هل هو الحب من غير أمل ؟ هل هو فى عدم الانقياد إلى رغبات الأطباء .
والتخفيف من حدة الأكل والسهر والإرهاق ؟
هل هو فى إحيائه الحفلات الغنائية الطويلة فى الوقت الذى كان يجب أن يركن فيه للهدوء والراحة الاستسلام للسريـر ؟

هل هو فى تحدى النصيحة الحاسمة التى قالها له الدكتور دبنى : إما أن تغنى وتموت وإما أن تعتزل وتعيش ؟

إن الذى قتل فريداً الأطرش هو فريد الأطرش . . قتله حبه لفنه . وقتله إحساسه بوجوده وقتله حبه لجمهوره الذى كان يطالب به إلى الأبد . . وقتله حقه على قلبه الذى أعطى الفن والحب والدنيا كل شيء . . ولم يعطيه هذا القلب شيئاً .
وقته مع حقه على قلبه حبه الكبير للحياة . .

ولكن الذى لم يقتله أبداً . . هو إيمانه بالله تعالى . . خالق السماوات والأرض ومانح الحياة لمن يشاء . . والذى لاتسقط شعرة من رؤوسنا إلا بأذنه وإرادته فى ذمة الله يا صديق الحبيب . . .

يا من جفت دموعى حزناً عليك ، ويكاد يحف مع دموعى حبر قلمي . .

جورج إبراهيم الخورى

وفاء على الضياع الحضاري



بقلم : بليغ حمدي



أحبابنا يا عين ..

راحوا معنا ..

رحنا وراحوا معنا ..

لا حد منا انتهى ..

كان الراديو يذيع تلك الأغنية .. عندما وجدت نفسي أتغنى بها .. وأستسيف
كلماتها .. وأحفظ موسيقاها .. وأرددها من المرة الأولى لسماعى لها ..
وهذا هو فريد الأطرش ! كان كذلك .. وظل كذلك .. طول معرقتى به كجمهور ..
وعلاقتى معه كصديق .. وتقديرى له كفنان .

كان أسلوب فريد الموسيقى يتميز بالبساطة الشديدة .. والشعبية التى تحس معها
أنك أليف معه ومع ما يغنيه كما لو كنت قد عشت معه طول عمرك .
إن فريد الأطرش كان يكسبك موسيقياً إلى صفه منذ اللحظة الأولى . ربما من
أجل هذا كانت شعبيته الضخمة .. واستمراره الناجح .

إن النجاح ليس ساذجاً .. ولا هو تلقائى .. أو شىء يأتي بالصدفة لكل من يحدث
أن يجده فى طريقه . لهذا فإنتى أؤمن دائماً بأن منتهى الإدراك والفهم والتعقل .. أن
يحاول الإنسان إدخال هذا الاعتبار فى الحساب .. عندما يحاول تقييم الفنان أمامه ..
أحياً أو ميتاً . وبناء على ذلك فإن ما يجب أن يشغلنا عند نجاح لحن مثلاً .. ليس هو :

كيف نجح .. وإنما السؤال يجب أن يكون هو : لماذا نجح ؟

إن نجاح الفنان فريد الأطرش كان يكمن بالدرجة الأولى في أنه جعل الجمهور منذ لحظته الأولى ، يحس تماماً بوجوده .. وتأثيره في الغناء العربي والموسيقى الشرقية .. وبعد ذلك بمساهمته فنياً في تشكيل ذوق المستمع العربي لفترة زمنية طويلة .

إن أقرب دليل واضح على ذلك هو النجاح المدوي والمستمر لفريد الأطرش في الدول العربية بشمال أفريقيا .

إن أى قارئ ذهب إلى باريس .. قد لمس بغير شك مدى تعلق المغتربين هناك من تونس والجزائر والمغرب .. بفريد الأطرش .. وربما لا يستطيع بعضهم أن يعرف من اللغة العربية أكثر من كلمات قليلة .. ولكنه يحفظ غالباً أغاني فريد الأطرش عن ظهر قلب .

وفي بلده نفسها ، سواء تونس أو المغرب أو الجزائر ، فإن شعبية فريد الأطرش كانت دائماً واضحة وضخمة ومستمرة .

إن الاستعمار الأجنبي الذى سيطر على تلك البلاد سنوات طويلة ، حاول باستمرار أن يمسح إلى النهاية إحساسهم بالانتماء العربى .. وحاول دائماً أن يلغى تماماً شعورهم بشخصيتهم القومية .. ونجح أحياناً في أن يعطيهم صورة الجزء التابع لأوروبا والغرب .. وليس صورة الجزء النامى من العالم العربى .

ربما من أجل هذا كان رد فعل المواطن العربى هناك عنيفاً وكاسحاً .. للتمسك في إصرار بكل ما يشده إلى شقيقته وعروبته .

ولقد كان فريد الأطرش ، في أغانيه وموسيقاه . أحد الملامح البارزة لتلك الشخصية الشرقية في الموسيقى والعربية في الأسلوب .

كان تمسكه بالشرقية في ألحانه .. وبالعروبة في صوته يغذى في التونسي أو المغربى أو الجزائرى الخاضع للاحتلال الفرنسى .. شعوراً مكبوتاً وعروبته ، لهذا كان إقبالهم

الضخم على الاستماع لألحانه ومشاهدة أفلامه وترديد أغانيه . إن فن فريد الأطرش هو جزء من دفاعهم عن أنفسهم ضد الاندماج والذوبان التهاى فى عالم آخر ودنيا وفن آخر .. جاء يكتسحهم من الغرب .

كان فريد الأطرش كذلك بالنسبة لهم فى شمال أفريقيا ..

وكان فريد الأطرش كذلك فى الغناء العربى والموسيقى الشرقية دائماً بالنسبة للمستمعين والجمهور .. وحتى عندما كان فريد الأطرش يترجم إلى العربية إحساساً أعجب به فى الموسيقى الغربية . فإنه كان يترجمه بما لا يتعارض مع الذوق العربى أولاً .. وبما يخدم هذا الذوق ثانياً .. وبما يحتفظ له بطابعه الأصيل أخيراً ..

إننى كنت ما أزال صبيّاً صغيراً عندما بدأت أردد أغاني وألحان فريد الأطرش . وإذا كنت أنا قد فعلت ذلك وقتها على مستوى المحدود كـمستمع . فإن كثيرين من الملحنين والمطربين قد فعلوا أكثر من ذلك وقتها على مستواهم هم كمحترفين . إن أى دارس لتاريخ الفن يستطيع أن يدرك على الفور كم كان تأثير فريد الأطرش على اتجاهات الملحنين المعاصرين له ابتداء من الأربعينات . . خصوصاً « التانجوهات » « التى بدأها هو فى أغنيته المشهورة « أنا . . واللى باحبه » .

إننى أحسست وقتها بمدى التطور الذى حققه فريد الأطرش فى ذلك اللحن بالذات . وقد أتيت لى أن أعلم بعد ذلك بسنوات طويلة أن الأستاذ محمد عبد الوهاب قد انتابه الشعور نفسه - وأكثر - فى ذلك الحين .

لقد كان فريد الأطرش متمسكاً بالشرقية الأصيلة فى الموسيقى . . ومع ذلك فإنه كان ناجحاً وشعبياً فى المحاولات التى بذلها من أجل تطوير تلك الموسيقى . .

ولم يكن نجاحه ، ولا كانت شعبيته ، فى الموسيقى وحدها . . ولكنها امتدت إلى أعماله كلها . . بما فى ذلك أعماله فى السينما . .

إن أى نجم سينمائى عندما كان يقول عن أحد أفلامه إنه نجح .. فإن السؤال التالى

فريد الأطرش بين الفن والحياة

الذى كان يسمعه فوراً من الوسط السينمائى فى مصر هو ، إلى أى حد كان فيلمك ناجحاً ؟ هل اقتربت مثلاً من نجاح « حبيب العمر » ؟
 إن السينائيين كانوا يقصدون بـ « حبيب العمر » . . فريد الأطرش ، ولقد كان نجاح أفلامه السينائية هو فى حد ذاته مقياساً يقيسون به الآخرين .
 مع هذا كله .. فإن نجاح شعبية فريد الأطرش .. كان أقل مما يستحق ، والأكثر من هذا ، أقل مما يستطيع !

لم يكن فريد الأطرش يعرف ، أو يجيد ، استغلال نفسه . إنه فى حياته كان إنساناً بسيطاً جداً ، يعيش ليومه .. وليس التخطيط للمستقبل جزءاً من مشاغله أو همومه اليومية . إن هذا الجانب من شخصيته ، وجوانب أخرى كثيرة ، لم يتح لى أن أعرفه إلا عندما توثقت علاقتى به كصديق فيما بعد .

كان فريد مقبلاً على الحياة تماماً .. وإلى آخر مدى .. كان يعيش كملك .. أو كأمرير ، ولم يكن يهتم فى قليل أو كثير أن يستغل هو نفسه .. أو أن يستغله الآخرون . ولكى أعطى مثلاً واحداً على ذلك .. فإني أذكر القارئ مبدئياً بأن فريد الأطرش كان عازفاً بارعاً على آلة « العود » . . إن لم يكن هو أعظم عازف فى العالم العربى كله . ولأنه لم يكن مجرد عازف .. وإنما كان أيضاً موسيقياً ، وبالتالي فهو يفكر فيما يعزفه .. فإن احتمالات النجاح الفنى والتجارى كانت أمامه على مصراعها .. لو أنه قدم للجماهير مجموعة أسطوانات من العزف المنفرد على العود .. أو العزف المنفرد مصحوباً بفرقة موسيقية .

ولكنه لم يفعل ذلك .. بكل أسف .

وأذكر أنتى عندما بدأت أستحثه على ذلك ، وكان هذا قبل رحلته الأخيرة إلى لندن اقتنع وانفعل وتحمس للفكرة .. وقال لى : يا ريت نعمل الفكرة دى سوا .. وأنا أول ما أرجع من لندن نقدر نعمل خمس أو ست أسطوانات فوراً ..

إنه لم يفعل هذا في تلك المرة .. لأن الموت كان أكبر منه .. ولكنه كان يستطيع أن يضعها دائماً طوال سنوات عديدة ضاعت منه .

ذلك أن فريداً الأطرش ، كتعبيرنا في الوسط الفني : « يقول .. أو » قوال » . إنه يقول ما يريد .. ويعبر عنه .. في شرقية وأصالة .. وتطور ! هذا هو انطباعي المبكر عنه منذ عرفنا له لحن المرحومة أسمهان « قهوة » . يا مين يقول قهوة » . ثم في اللحن الذي غناه هو بصوته « أنا .. واللى باحبه » .

إن فناناً يمتلك موهبة فريد الأطرش ، وقدرته ، وتفوقه ، وإحساسه .. كان يستطيع أن يعطى المكتبة العربية أضعاف أضعاف ما أعطاه .. كاري يستطيع أن يفعل ذلك في ألحانه وأغانيه .. وحتى في أفلامه . إن من يرى ويسمع اسكتشات الموسيقى والغنائية الجميلة في أفلامه السينمائية ، يحس على الفور أن بذرة النجاح الضخم في المسرح الغنائي كانت موجودة في فن فريد الأطرش .

إن التفسيرات لذلك كثيرة .. ولكنني شخصياً ، مقتنع بتفسيرين .. أوبسبين . السبب الأول هو أن إقبال فريد الأطرش على الحياة .. حبه لها .. قد استهلك جزءاً كبيراً من وقته .. بحيث إنه كان مشغولاً أساساً بيومه .. وليس بالتفكير في مستقبله . والسبب الثاني كان هو طبيعة شخصية فريد الأطرش نفسه .. إن فريد كان معتزاً للغاية بنفسه ، وعنيداً إلى آخر مدى .. حتى فيما لا يخدم فنه هو .. !

إن هذا هو السبب في أن المرحومة أم كلثوم لم تغن من ألحانه !

إن فريد الأطرش لم يعرف كيف يتعامل مع سيدة في الغناء العربي كأم كلثوم . لقد كانت له طريقته هو في التعامل .. وهي طريقة كانت - فضلاً عن اقتناعه بها - جزءاً من شخصيته هذه الطريقة هي التي جعلته يرى مثلاً .. أن فناناً كبيراً وناجحاً وشعبياً مثله .. لا بد أن يكون له حق اختيار الكلمات التي يلحنها لكي تغنيها أم كلثوم . وأم كلثوم ، - من جانبها - كانت ترى أن من حق فنانة في مكانتها أن تختار هي

الكلمات التي تنفعل بها ، والتي تعطيها للملحن لكي يلحنها .
 وهذا السبب لم يتم هذا اللقاء الفني .. الذي كان منتظراً ومكثاً .
 لقد اختار فريد الأطرش قصيدة « الأخطل الصغير » « وردة من دمناء » لكي
 يلحنها ويعرضها على أم كلثوم لكي تغنيها .
 إن أم كلثوم لم تغنيها .. ليس اعتراضاً على القصيدة ذاتها .. ولكن لسبب آخر ..
 حدثته هي بكلماتها : ما دام فريد عاوز يلحن لي .. إذن .. يلحن لي أغنية حفلة ..
 أغنية تصلح لما أؤديه على المسرح في حفلاتي ..
 ولكن فريد رفض أن يفعل ذلك .. إلا إذا غنت له أم كلثوم أولاً أغنية « وردة
 من دمناء » لقد اعتبر هذا التصرف من أم كلثوم هو - أولاً - إهانة له .. أو تقليداً من
 شأنه .. وهو أمر لم يكن صحيحاً بالطبع .. وهو ثانياً تعامل معها بعناد .. هو في
 الحقيقة جزء طبيعي - وغير متعمد - من شخصيته .
 وهكذا خسرنا لقاءً فنياً كان سيصبح مثمراً جداً ، وناجحاً للغاية !
 ولكن ، تلك كانت هي طبيعة فريد الأطرش !
 لقد كانت طبيعته لا تسمح بتكوين العلاقات اللازمة مع المطربات والمطربين
 الذين يحتاج إليهم لنشر ألحانه .. إن المرحومة أسمهان - أخته - ماتت مبكراً لسوء
 حظه .. وهي في حد ذاتها كانت تستطيع أن تكون ناشراً ناجحاً جداً لألحانه .. لأنها
 كانت تستطيع أن تكون موصلاً إضافياً ممتازاً لألحانه إلى آذان الجماهير العربية ..
 بعد أسمهان .. لم يستطع فريد الأطرش ، بحكم شخصيته وطبيعته ، أن يقيم
 العلاقات التي تسمح له باكتساب ناشرين إضافيين - فوق صوته هو - لألحانه إلى
 الجمهور .. ومن الممكن أن تكون هذه المشكلة مزعجة لأي فنان .. لكنها لم تزعج
 فريداً في كثير أو قليل .
 كان فريد الأطرش الملحن يفضل الاعتماد على فريد الأطرش المطرب ! إنه

لم يخطط أبداً ، أو لم يتصور أبداً ، أهمية أن يكون له ناشرون آخرون غير صوته .. بالرغم من أنني مؤمن بأن كل المطربات والمطربين الآخرين كانوا يحبون العمل معه والغناء من ألبانه .

وربما كانت الفنانة صباح هي الاستثناء البارز هنا .. لأن صباح كانت تربطها صداقة وثيقة بفريد الأطرش .. لهذا أعطاهما فريد عدة ألحان شعبية حققت صباح - بها ولها - نجاحاً كبيراً . . كان يجب أن يكون مشجعاً لفريد على أن يتعامل بموسيقاه مع الأصوات الأخرى المنتشرة ..

إنني أسوق ذلك لكي أدلل على أن فريداً لم يكن يخطط أبداً لنفسه . إنه كان في فنه - مثلما كان في حياته الشخصية - تلقائياً وبسيطاً ومقبلاً على الحياة الآن ، وفي هذه اللحظة ، قبل أن يفكر في الحياة باعتباره الغد ، والمستقبل .

لم يكن فريد يعيش لمستقبله ، ولا حتى يفكر في مستقبله . كان يريد فقط أن يفكر في الحياة باعتبارها الحاضر . إنه حاضر له ماض ولكن ليس له مستقبل . لقد انعكس هذا الإحساس على كل مجالات حياة فريد وفنه ، بما في ذلك حياته الشخصية .. وحتى في علاقته بالمرأة .

إننا جميعاً نعلم أن فريداً لم يتزوج ، بل إنه كان دائماً يرفض فكرة الزواج من أساسها في كل مرة يحس فيها بضرورة الاختيار واتخاذ موقف .

إن فريداً لم يكن يثق بالمرأة .. مطلقاً ! كان يريد من المرأة دائماً أن تعيش على هامش حياته .. وليس في مكان الصدارة من حياته ، أو حتى داخل حياته . إنني سألته مرة كصديق : لماذا أراك تحس دائماً بفزع ضخم من فكرة الزواج كلما فرضت عليك الحياة هذا الموقف ؟

وكان فريد - رحمه الله - يجيب : نعم . أما الفزع فهذا صحيح .. أما الموقف الذي تفرضه على الحياة فهذا غير صحيح .. إنني كنت دائماً أختار عدم الزواج ..

لان القدر لم يضع في طريقي أبداً المرأة التي أثق فيها ثقة كاملة ..

هل كان لهذا الشعور تأثير على فن فريد الأطرش ؟

إننى أقول : نعم !

فالفنان ، مهما كانت رغبته في الفوضى والانطلاق والبهيمية ، محتاج دائماً إلى الشعور بالاستقرار العاطفي . والفنان محتاج دائماً إلى من تكون محل ثقته .. لأن هذا يعطيه في النهاية شعوراً يؤكد ثقته بنفسه .

ولقد كان فريد واثقاً بنفسه ، ولكنه لم يجد من يثق فيه .. أو على الأصح ، من يثق فيها . ربما من أجل هذا كنا نجد الحزن طابعاً غالباً على معظم أعمال فريد الغنائية . بل إننى أقول أكثر من ذلك . فعلى المستوى الشخصى كان فريد الأطرش مقبلاً على الحياة ، ومحباً لها ، ومتفائلاً بها ..

وعلى المستوى الفنى كانت أغاني فريد تعكس شعوراً بالحزن .. هو في حد ذاته شعور مضاد للشعور الأول .

أيهما كان الأصل . : أيهما كان الصورة ؟

أيهما كان الحقيقة .. وأيهما كان الافتعال ؟

لا أحد يدري بالضبط .. ولكن الذى أرويه هنا هو أن هذا التناقض قد أثر بدرجة ما على فن فريد الأطرش .. بمثل ما أثرت عليه تناقضات كثيرة أخرى في حياته .. إنها أثرت على كل شيء فيه .. وفي النهاية أثرت على فنه .

إننى شخصياً أعتقد أن فريد كان يستطيع أن يعطى للفن أضعاف ما أعطى .. لو قدر له أن يجد في حياته الناصح الأمين .. أو الصديق الوفي .. أو الشريك المخلص . إنه نجح جداً ، بالرغم من هذا كله .. وكان سينجح أكثر وأكثر .. لو توفر له هذا كله ! إن فريداً الأطرش ، الفنان ، أعطانا في موسيقاه الملامح الشرقية الأصيلة المتطورة .. التي تخلو من الرتابة .. ويبرز فيها الشعور بالإيقاع .. وتتميز فيها الجملة

الموسيقية بالوضوح والبساطة . إننا نستطيع أن نرى هذه الصفات كلها في ألحان مثل « قهوة » لأسمهان .. أو « أنا واللى باحبه » .. و « الربيع » .. و « أول همسة » وغيرها كثير .. بصوته هو .

إن تلك الألحان كلها دليل على مدى شرقية موسيقى فريد الأطرش .. ومدى تمسكه هو بتلك الشرقية .

ولكن بعضهم يحلو له أن يسأل ، هل كان تمسك فريد الأطرش بالشرقية في موسيقاه هو محاولة منه بالوقوف ضد التطور ؟

إننى أبادر وأقرر أن الإجابة هى بالنفى .

بل إننى أقول أكثر من ذلك .. إن فريداً الأطرش أعطى الموسيقى الشرقية أفكاراً جديدة .. ومتطورة .. وممتازة .. وجريئة .. لم يعطها أى ملحن آخر معاصر له .

ربما من أجل هذا كان فريد الأطرش مرشحاً - أكثر من غيره - للخروج بالموسيقى الشرقية من آفاقها المحلية .. إلى المجال العالمى .

إن فريداً نفسه كان يفرح بذلك .. ولكنه لم يكن يعمل لذلك !

لقد كان يستطيع ، وكان يفعل ، وكان ينجح فعلاً .. ولكن ، بعد قليل ، لا تلبث حياته اليومية ، وإقباله على حياته اليومية ، أن يمتصه من هذا كله .

إن فريد الأطرش - رحمه الله - كان يقول دائماً : نحن شرقيون .. ولنا طابع متميز فنياً وغنائياً وموسيقياً .. وإذا عرفنا كيف نخرج إلى العالم بطابعنا هذا فى موسيقانا .. فسوف يرحب بنا العالم ويفتح لنا ذراعيه .

ولقد خرج هو إلى العالم ، ورحبوا به .. وفتحوا له أذرعهم .

إن ألحاناً كثيرة وضعها فريد الأطرش ، وغناها ، أعيد توزيعها وغناها فى باريس وأماكن أخرى كثيرة .

وجمهوراً كبيراً كان ينتظر من فريد الأطرش أن يكمل هذه المحاولة . لأنه كان أكثر من غيره - هو المرشح للنجاح فيها . ولكنه لم يفعل .

إن السبب هو - مرة أخرى - طبيعته هو . . وحياته هو . . كان فريد في حياته بسيطاً .. وتلقائياً .. وواضحاً .. وصريحاً . إن صراحته كانت تصبح أحياناً قاتلة .. إلى درجة أن الصديق الحقيقي له كان يهجم في كل مرة بمقاطعته لكي يحول بينه وبين أن يدلى هو برأيه صريحاً في طرف آخر موجود أمامه . ولكن الصديق كان يفاجأ في كل مرة بأنه قبل أن يفعل ذلك .. قبل أن يتدخل .. فإن فريداً نفسه يكون قد قال كل ما يريد ، وكل ما يحس ، بوضوح واختصار وبساطة .. ولكنها البساطة التي تكون في أحيان كثيرة أسوأ من القتل !

وكان فريد في حياته كريماً .. وبشوشاً .. ومضيافاً . وفي كل مرة كنت أصل فيها إلى بيروت .. فإنني ، عند أول مكالمة تليفونية أجريها مع فريد الأطرش ، أفاجأ بترحيبه وحرارته وإصراره على أن يرى بعضنا بعضاً فوراً . إنني لم أكن وحدي في ذلك . . ولكن فريداً كان كذلك مع كل أصدقائه . إنه كان يحيط نفسه بعشرات من الأصدقاء ، في أي وقت من الليل أو النهار . وإذا تركت له نفسك فإنه يستطيع أن يملأ لك وقتك تماماً لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم . إنه يرتب لك كل ساعة ، ويشغل لك كل ثانية .. وهو يفعل لك ذلك بغير افتعال .. وبغير ملل .. !

إن النجاح الأكبر لفريد الأطرش كان يتركز في أنه نقل هذه البساطة ، وهذا الصدق ، إلى أعماله . . والتي انتقلت بدورها من أعماله . . إلى مستمعيه . لهذا كانت شعبية فريد الأطرش .. ولهذا كان نجاحه .

لقد استطاع فريد الأطرش أن يساهم بحق ، وبشكل ملموس وواضح ، في

تشكيل ذوق المجتمع العربي لسنوات طويلة مضت .. وسوف يستمر هذا التأثير قوياً لسنوات طويلة قادمة .

بقيت نقطة أخيرة تتعلق بفريد الأطرش ؛ . كمطرب .

إن كل فنان يستطيع أن يقرر فوراً أن صوت فريد الأطرش كان متميزاً تماماً بين كل من عاصروه من المطربين .

كان صوته معبراً وحساساً .. وشديد الاحتمال .. ومتنوع الطبقات .. ومسرحي الإطار . إنه كان من أكثر الأصوات صلاحية للاستغلال الفني المسرحي .. وفريد نفسه .. قبل تدهور حالته الصحية .. كان من القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح لمدة ساعتين وثلاث وأحياناً أربع ساعات .. وهو في كل مرة قادراً على أن يجدد ويبتكر في حدود اللحن الجديد الذي يقدمه .. أو حتى في حدود لحن مستمر ومضت عليه عشرون أو خمس وعشرون سنة .. مثل لحن « أول همسة » .. أو « الربيع » . إنه كان قادراً على أن يعطي الجمهور إحساساً في كل مرة بأنه يغني له هذا اللحن لأول مرة .

ولقد كان فريد يحتفظ لنفسه بطابع خاص ومميز في أدائه .. حتى إن المستمع يحس بالألفة مع هذا الصوت وبالحب الشديد .. وإن الأذن العربية ظلت - وسوف تظل - سنوات طويلة تطرب تماماً لهذا الصوت .

ربما من أجله لم تفشل أغنية لفريد الأطرش .

ولم يفشل لحن لفريد الأطرش ..

ولم يفشل فيلم لفريد الأطرش .

لقد كان فريد ناجحاً دائماً .. والنجاح ليس ساذجاً كما قلت من قبل ..

النجاح يعرف جيداً أن يختار من يستحق النجاح .

ولقد استحق فريد النجاح .. واستحق أيضاً ما هو أكثر من النجاح .

وكم كنت أتمنى أن يطول العمر بفريد الأطرش . . لكى يعطينا مزيداً من الموهبة . .
ومزيداً من النجاح . . ومزيداً من الأصالة . . ومزيداً من الفن .

بليغ حمدي



حبيب العُمر والسنوات الأخيرة من عمره



بقلم : محمد بديع سريية

عرف عن الكاتب اللبناني المرموق الأستاذ محمد بديع سرية أنه كان من أبرز المقربين إلى قلب الموسيقار فريد الأطرش وحياته . .
ربما من أجل هذا كان الموسيقار الراحل قد اختاره قبل وفاته لكي يسجل قصة حياته ، وينشرها في مجلته « الموعد » . . وهي المجلة التي يملكها وبرأس تحريرها .
وفي هذا الفصل لا يروي الأستاذ سرية فقط الذكريات التي سمعها من فريد الأطرش . . وإنما يروي أيضاً الذكريات التي عاشها معه . . في بيروت وخارج بيروت .



كان يوم الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ بداية تحول جديد في حياة فريد الأطرش . .

فقد كان الموسيقار الراحل ، الذى اعتادت « الموعد » تسميته بـ « الموسيقار الحزين » عائداً من رحلة قام بها إلى الكويت ، وأراد أن يمضى في بيروت ، وهو في طريق عودته إلى القاهرة ، بضعة أيام كما اعتاد دائماً ، وشاءت الصدفة أن يجد في بيروت ، وفي فندق « البريستول » الذى اعتاد أن ينزل فيه كلما جاء إلى بيروت ، صديقه الحميم الموسيقار محمد عبد الوهاب وقرينته السيدة نهلة ، وهكذا ، بدلا من أن يمضى فريد إلى القاهرة سريعا ، أطلت إقامته أسبوعين ليتسنى له أن يبقى مع عبد الوهاب ونهلة أوقاتاً ممتعة يتوق دائما إلى أن يقضيها معهما ! .

وخلال إقامته في بيروت ، كنت ألتقي بفريد الأطرش كل ليلة ، وكثيراً ما كان يفتح قلبه لى ، لا ليحدثني عن متاعبه الصحية فقط ، وإنما ليسرد لى سلسلة من المتاعب النفسية والعاطفية التى يتعرض لها ، ويتحملها بسعة الصدر لأنه غير قادر على مجابهتها كما كان يفعل في أيام الشباب . وما كنت أسمعه من الموسيقار الراحل لم يكن جديداً على ، بل لقد كنت أسمع مثله على امتداد السنين والأيام ، مما جعلنى أتصور ، بل أتأكد ، من أن فريد الأطرش ، لكثرة إحساسه وتملكه عقدة الشعور بالاضطهاد ، وربما كان ذلك ناشئاً عن أيام العذاب التى مرت به في طفولته ، وبداية حياته الفنية ،

مخصوصاً في الفترة التي عمل فيها كعازف على العود ، ثم كمطرب ، في صالة الراقصة بديعة مصابني ، وفي الحفلات والأفراح . .

مرة روى لي فريد الأطرش أنه وهو في الخامسة عشرة من عمره ، عمل كعازف على العود في فرقة المطرب إبراهيم حمودة ، الذي كان أشهر مطرب في ذلك الزمان ، وفي إحدى المرات ذهب المطرب الشهير ليغني في حفلة ساهرة تقيمها إحدى أميرات الأسرة المالكة . ورجبت الأسرة بكل حماس بإبراهيم حمودة ، ثم التفتت إلى فرقته الموسيقية ، فلما كاد نظرها يقع على فريد الأطرش وهو يحمل عوده ، حتى صاحبت بإبراهيم حمودة :

- يا بابي . الوداسامي ده دمه ثقيل . . خليه يطلع برة ، مش قادرة أشوفه . .
وارتبك إبراهيم حمودة ، ولم يدر ماذا يفعل ، هل يتخلى عن الشهامة ويستجيب لوقاحة الأميرة المجنونة ، أو يرفض طلبها ويعرض نفسه لانتقامها ، وقبل أن يأخذ قراراً كان فريد الأطرش نفسه يخرج من قصر الأميرة وينتقد موقف المطرب الكبير ! .
ومن الرواسب التي خلقت في نفس الموسيقار الراحل عقدة الاضطهاد أيضاً أنه عندما عمل في صالة بديعة مصابني ، كان يحس بالراقصة الكبيرة التي كانت يومها صاحبة نفوذ كبير في الأوساط الراقية تعامله حسب ارتفاع أو انخفاض « ترمومتر » مصلحتها ، فإذا صفق الجمهور له في ليلة كانت تحسن معاملته ، وتدعوه إلى مائدتها ، وتغدق عليه التكريم ، وإذا لم يصفق له الساهرون السكارى في ليلة ثانية أشاحت عنه بوجهها ، وراحت تعامله بقسوة بالغة !

ولقد كبر الشعور بالاضطهاد في نفس فريد الأطرش ، مع اتساع شهرته وتألق نجمه ، وصعود اسمه إلى القمم الفنية والعالمية ، ولهذا كان دائم الشكوى من عدم التقدير الذي يلقاه من بعض الأوساط الصحفية والرسومية أو من المؤامرات التي تحاك ضده من جانب بعض الفنانين ، ولكنه في الوقت نفسه كان يشعر بالتعويض عن هذا الاضطهاد ،

بما يلقاه من تقدير وتكريم وحُب من جانب الجماهير المصرية ! .
 وفى إحدى الليالى ، كنا فى أحد زوايا صالون « البريستول » فى بيروت وكان يستعد
 للعودة إلى القاهرة ، قال لى فريد الأطرش :

- لقد وقفت معى موقفًا كريماً ، عندما هاجمت الذين هزءوا بى فى إحدى
 المجلات ، وسمونى كاريكاتيراً بصورة « حمار شهاب الدين » ، وكان للمقال الذى
 كتبه عنى وقعه الحسن عند المنصفين وأولاد الحلال . وأحب أن أصرحك الآن بأننى
 مع كل حُبى لمصر فأنا أشعر بأن أيدياً خفية كثيرة تحاربنى فى الوسط الفنى ! .
 وقلت له :

- يا أخى فريد ، لا أريد لك أن تضخم الأمور ، وترى فى كل بادرة عداوية
 تحاك من شخص ما ، صورة مؤامرة عليك . ثم إنك فنان كبير تجاوزت شهرتك
 الآفاق المحلية ، ووصلت إلى الآفاق العالمية ، ولم يعد هناك من مبرر لك للاهتمام
 بالأمور الصغيرة ..

وارتسم الأسى على وجه الموسيقار الراحل ، وقال لى :
 « حتى لا تعتقد أننى أبالغ اسمع هذه القصة ، إن الإنتاج السينمائى اليوم هو
 فى أبهى مؤسسة تتبع القطاع العام » كان ذلك فى ربيع ١٩٦٧ « وقد استدعانى مسئول
 كبير فى المؤسسة لبحث معى فى موضوع إنتاج فيلم لحساب المؤسسة أكون أنا البطل
 الأول فيه ، وعندما سألتنى عن الأجر الذى أطلبه مقابل تمثيل دور البطولة فى هذا
 الفيلم ، قلت له إننى لا أطلب إلا الأجر الذى أتقاضاه عادة عندما أمثل أى فيلم ،
 وهو خمسة وعشرون ألف جنيه .. فهل تعلم ماذا كان رده على ؟ !
 سألته :

- ماذا ؟ ! .. وافق طبعاً .. لأن هذا هو أجرك الفعلى من كل فيلم تمثله .. وعاد
 الأسى يرتسم على وجه الموسيقار الحزين وقال :

- أبدأ ، إن وجه سيادة المسئول في المؤسسة تجهم فجأة عندما سمع هذا الرقم .
وقال لى بلهجة ساخرة : آمال ليه أنا درست ونحدت الدكتوراه .. مش أحسن كنت
أعمل مغنى زيك .. وأخذ المبلغ الكبير ده عن كل فيلم ..
وقلت محاولا تهدئة فريد الأطرش :

- ربما كان يمازحك ؟ !

أجاب :

أبدأ . وقد اضطررت إلى الرد عليه بقوة ، وقلت له إن يوسع أى إنسان أن يكون
دكتوراً فى الاقتصاد .. ولكن مش أى واحد يقدر يكون فنان مشهور .. وموهوب !!
ومن يومها لم تعد مؤسسة السينما تعامل معى . كما لم يعد بوسعى أن أنتج أفلاماً لحسابى .
وهكذا ترى أنى عاطل عن العمل ! .

وبالرغم من المارة التى كانت تترج بكلمات فريد الأطرش ، فلم يكن قادراً
على إخفاء هففته للعودة سريعاً إلى القاهرة ، بالرغم من أنه لم يكن مرتبطاً هناك بأى
عمل فنى ، وكنت أعلم أن وراء هذه اللفظة حباً جديداً قد اشتعل فى قلبه ، هو حبه
للنجمة الشابة سميرة أحمد التى التقى بها أمام الكاميرا فى فيلم « شاطئ الحب » ومن يومها
أسرته بشخصيتها الجذابة ، ورقتها ، وبعدها عن السطحية ، وأحس بأنه أمام امرأة
تختلف عن كل النساء اللواتى عرفهن فى حياته ! .

وفى بادئ الأمر أخذ فريد الأطرش يسعى إلى إقامة صداقة مع النجمة الناعمة
بعيداً عن جو العمل ، فأخذ يدعوها إلى سهراته اليومية فى صالون بيته الذى كان
ملتقى كل الأصدقاء والصديقات ، ولاحظ الجميع أن الموسيقار الذى ظل فترة طويلة
بلا حب ، يبالغ فى رعاية سميرة أحمد والاهتمام بها ، وكان يجلس إلى المائدة ،
ويعلمها قواعد لعبة « الكومى » ، ويضحك من قلبه عندما تسأله وبراءة الأطفال فى
عينها :

- اديله « باصلا » يا فريد ؟ ! « أئى : هل أعطيه باصره يا فريد » !
وبالرغم من أن فريد الأطرش كان يحب أكثر ما يحب النساء القادرات على
مشاركته السهر حتى مطلع الفجر لأنه يكره النوم مبكراً ، فإن قلبه لم يتحول أبداً عن
سميرة أحمد التي كانت تستأذن بالانصراف إلى بيتها بمجرد أن تقف عقارب الساعة على
الواحدة بعد منتصف الليل ! .

و ذات ليلة لم يطق الموسيقار العاشق الاستمرار فى كتمان عواطفه فأخذ سميرة أحمد
من يدها إلى الصالون الشرقى فى بيته وقال لها :
« سميرة !! أريد أن أعترف لك .. لقد أحببتك من كل قلبي .. وأنت الوحيدة
التي استطعت أن تمحى من ذاكرتى صورة النساء اللواتى عرقتهن فى حياتى ..
وابتسمت النجمة الناعمة وقالت :

- وتأكد أن هذا الحب ليس من طرف واحد ..

وهتف بفرح :

- يعنى ايه ؟ ! أنت كمان ؟ ؟

وهزت رأسها علامة الإيجاب .. ولكن فريد الأطرش توقف عند هذا الحد فى
حديثه وفهمت سميرة أحمد من سكوته بأنه يريد لها عشيقة له وليست زوجة ، وهى ما
اعتادت أن تكون عشيقة لأحد ، ولا تفهم أن للحب نهاية غير النهاية الطبيعية التي
هى الزواج ، ومن هنا ، وعندما فهمت الحقيقة ، بدأت تقلل من زيارتها له .. وكلما
ابتعدت زادت نار الحب فى قلبه اشتعالا ! .

وفى هذه الأثناء ، اضطرت أعماله للسفر إلى الخارج ، فأرسل لها سيارة « سبور »
أنيقة ، وثلاثة حقائب كبيرة تحتوى على أغلى الملابس ، وأنواعاً مختلفة من أدوات
الزينة ، وعندما اتصل بها مكتب فريد الأطرش ليلغنها عن السيارة والحقائب ، ويطلب
إليها تسلمها كهدية منه ، كان ردها أنها تعتذر عن عدم قبولها !

وعندما اتصل بها صديق مقرب من فريد الأطرش ، وسألها عن سبب رفضها للهدية ، كان جوابها :

- أرجو أن يفهم الأستاذ فريد أن حبي له مهما بلغت درجته ، فإنه لن يدفعني إلى القبول بأن أكون عشيقته . . وإذا كان يحبنى فعلا ، ويريد الارتباط ، فأنا لا أرى أمامه وأمامي إلا رابطة . . الزواج !

وبلغت الأخبار فريد وهو في الخارج ، فتألم لأن سميرة أحمد رفضت هداياه ، ولكنه لم يغضب لوضعها شرط الزواج لكي يستمر الحب بينه وبينها ، وإنما تضاعف حبه لها أكثر وأكثر ، وكان في شوق ملح للعودة إلى مصر ، واللقاء بها والتفاهم معها .. ولا أحد يدري ماذا كان يدور في ذهن فريد الأطرش وهو يستعد للعودة إلى مصر . هل كان يوافق على الزواج من سميرة أحمد ، أو أنه سيقطع علاقته بها ؟ ! أو يحاول إقناعها بأنه إنسان خلق للحب ولم يخلق للزواج ! .

وحدد فريد الأطرش لى موعد سفره .. وتواعدنا على اللقاء في صباح يوم السفر لأودعه وأسمع المزيد من أخباره وحكاياته ..

وفي الصباح ، كان فريد الأطرش في غرفته بفندق « البريستول » يعد حقائبه للسفر ، وقبل لحظات من انطلاقه نحو مطار بيروت ، رن جرس التليفون في غرفته ، وتلقفت أذنا فريد باستغراب صوت الموسيقى محمد عبد الوهاب ، وكان سبب الاستغراب هو أن عبد الوهاب ودعه بالأمس ، ولم يتعود أن يصحو مبكراً ! .
وقال عبد الوهاب :

- فريد .. أنت مش حتسافر يا حبيبي ..

وصرخ فريد الأطرش :

- ليه ؟ ! خير إن شاء الله يا أستاذ ! .

قال عبد الوهاب بصوت يمتزج بالاضطراب :

- الحرب قامت يا فريد .. إسرائيل بدأت بالعدوان على مصر . والمطارات أقفلت ! .

وجمد فريد الأطرش في مكانه .. وعاد يفك حقايبه ..

كان ذلك اليوم هو يوم الخامس من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ ..

ومن ذلك اليوم بدأ التحول الجديد في حياة الموسيقار الراحل .

لقد قرر فريد أن يقيم في بيروت مؤقتاً .. ولكن الظروف جعلته من « مؤقتاً » هذه شيئاً دائماً . لقد بدأت تصبح لديه ارتباطات عمل مستمرة . كان على رأسها عمله في فيلمه الجديد مع السيدة فاتن حمامة .

فما إن أطلت النجمة فاتن حمامة على مطار بيروت ، حتى وجدت الموسيقار فريداً الأطرش بانتظارها وفي يده باقة من الورد قدمها لها ترحيباً بها ، وتعبيراً عن امتنانه لها بعد أن رضيت أن تخرج من عزلتها السينمائية التي طالت ثلاث سنوات لكي تمثل دور البطولة في فيلمه « الحب الكبير » ، وكانت من قبل قد مثلت معه في مصر فيلم « لحن الخلود » الذي هو قمة أفلامه السينمائية ، فضلاً عن فيلم آخر هو « من غير وداع » ..

وقد حرص فريد الأطرش على أن يأخذ رأى فاتن حمامة في كل شاردة وواردة تتعلق بفيلم « الحب الكبير » لأنه كان شديد الإعجاب بكل رأى تبديه ، ويعرف أن الممثلة الكبيرة عندما تمثل أى فيلم ، فهي لا تكنف أن تقوم بالدور المطلوب منها في الفيلم وخلاص ، بل تحاول أن تعطى كل خبراتها من أجل أن يتحقق النجاح الفني الكامل لهذا الفيلم ..

وقبل أن تبدأ فاتن مع فريد الأطرش رحلة العمل في الفيلم قال لها :

- أولاً ، أحب أن أستشيرك بشأن الممثلين الذين سيعملون معنا في الفيلم .

إيه رأيك بصديقى العزيز عبد السلام النابلسى ؟ ؟

وضحكت فاتن وقالت :

- وهو معقول فريد الأطرش يمثل فيلم وما يكونش معاد عبد السلام النابلسى ..
وكانت النجمة الكبيرة على حق فيما تقوله ، فإن صداقة فريد الأطرش وعبد السلام
النابلسى كانت مضرب الأمثال ، فقد كان من النادر أن تدخل بيت فريد الأطرش
ظهراً أو مساء ، فى بيروت أو فى القاهرة ، ولا تجد فيه عبد السلام النابلسى ، ومن أبرز
الأحداث فى حياة الصديقين أنهما فى العام ١٩٥٠ ، نالا الجنسية المصرية فى يوم
واحد ، وكانت هذه أكبر مفاجأة فى حياتهما ، بعد أن أقاما فى مصر زهاء عشرين
عاماً دون أن يحملا جنسية البلد الذى اختارا البقاء فيه ... وأعطاهما الكثير من المجد
والتألق ، مما لم يكن يتوفر لهما لو أن كلا منهما بقى فى بلده ..

وعندما أقام فريد الأطرش فى بيروت بصفة دائمة وكان يتردد عليها مرة أو مرتين
فى السنة فإنه لم يكن يفارق صديقه الحميم عبد السلام النابلسى الذى كان قد سبقه
إلى الإقامة فى بيروت ، واشترى شقة فى عمارة « يعقوبيان » وكان فريد كلما دعى إلى
حفله أو سهره ، يشترط أن يكون عبد السلام فى مقدمة المدعوين ، وكل يوم ، عندما
كانت تخطر لفريد الأطرش أية أكلة شبيهة كان يتصل بصديقه الحميم على الفور كي
يعد له هذه الأكلة لأنه سوف يجيئ لتناول الغداء عنده ، وكان عبد السلام والشهادة
لله ، طباًحاً ماهراً ، وسخياً على مائدته ومضيفاً من الطراز الأول ..

ولقد اتفق فريد الأطرش وعبد السلام النابلسى طوال عشرين عاماً على أشياء كثيرة ،
والأمر الوحيد الذى كان يختلف فيه الصديقان هو أن فريد الأطرش لم يكن يهتم بصحته ،
برغم أنه مصاب بثلاث ذبحات قلبية ، ويفرط فى السهر والتعب واللعب لأنه كان
يؤمن بأن العمر واحد والزب واحد ، أما عبد السلام النابلسى فكان على عكسه تماماً ،
يخاف على صحته ، ويرتفع خوفاً من أى عارض صحى ، ولا يتحرك إلى أى مكان
إلا وتحت إبطه صيدلية متنقلة ...

وكانت فاتن حمامة تعلم أن بين فريد الأطرش وعبد السلام النابلسى صداقة روحية عميقة ، ولذلك لم تتردد فى الموافقة على أن يكون عبد السلام من نجوم « الحب الكبير » خصوصاً وهى تعلم أنه يضى على أى فيلم يمثله جواً من المرح ..
وعاد فريد الأطرش يسأل فاتن حمامة :

- ويوسف وهبى .. ما رأيك به ؟ ! إنه سيمثل دور والدك فى الفيلم .. وردت فاتن حمامة فوراً :

- يوسف وهبى ! ! إنه أستاذنا جميعاً ..

ويبقى هناك دور يحتاج إلى من تمثله فى الفيلم ، وهو دور السيدة الارستقراطية المستهتره التى تحاول أن تلعب بقلب بطل الفيلم « فريد الأطرش » وتبعده عن حبيبته « فاتن حمامة » .. وقال فريد :

- حتى الآن لم أجد فى بيروت واحدة تصلح لهذا الدور . لقد تعرفت بملكة جمال اسمها غلاديس أبو جوده « اسمها الفنى الآن حبيبى » ... ولكننى رأيت أنها لا تصلح لدور المرأة المستهتره ، فهى ناعمة ، ورقيقة ، وبريئة الوجه ..
وضحك وقال :

وأحاف أن أقع فى غرامها فعلاً ..

وردت فاتن حمامة على فريد الأطرش قائلة :

- لا يا خويا .. احنا عاوزينك المرة دى تشتغل من غير حب ..

ورد الموسيقار الراحل قاتلا :

وحياتك أنا خلاص ، بطلت الحب .. وحتى لما قعدت فى بيروت نسيت آخر حب لى فى مصر ..

وسألت فاتن بحبث :

- يا ترى مع مين كان الحب يا فيرى ؟ !

وبالصراحة التي تعودها ، أجب فريد :

- مع سميرة أحمد .. لكن وشرقي ما حصلش أى علاقة بيننا ، مجرد حب انتهى بعدما قعدت أنا في بيروت ..
وقالت فاتن :

اسمع يا فريد أنا رأيي أننا ندور على بنت جديدة ولبنانية وتمثل الدور ده .. ايه رأيك ؟
وهز رأسه بالموافقة ..

وبدأت العيون تبحث هنا وهناك عن سيدة لبنانية تصلح لأن تمثل الدور الثانى في فيلم « الحب الكبير » وتم العثور عليها أخيراً ، وكانت السيدة ليزركيسان ، وهى زوجة أحد رجال الأعمال ، ومن محاسن الصدق أنها كانت ممثلة .. وأنها برغم زواجها لم تستطع أن تتخلى عن هواية التمثيل ، فلما سنحت لها فرصة الظهور على الشاشة السينمائية ومع من ؟ ! مع فريد الأطرش ، وفاتن حمامة ، وعبد السلام النابلسي ، ويوسف وهبي ، لم تتردد في الموافقة ولو أدى ذلك إلى أن ترقص حياتها الزوجية على كف عفريت .. وهذا ما حدث فعلاً بعد سنوات !
« على بركة الله .. نبدأ التصوير بعد أسبوع » ..

قالت فاتن حمامة ..

ولكن فريداً الأطرش لم يدعها تكمل كلامها ، فقال :
- اسمح لي أولاً أن أدعوك إلى حفلة أقيمها تكريماً لك ..
وأجابته فاتن :

- حفلة إيه ؟ هو في بيتنا مجاملات يا فريد ؟

وأجاب الموسيقار الخالد :

- يا ستى ده واجب على ... ثم أنا حاكون سعيد جداً ، لأن الحفلة التي سأقيمها

تكريماً لك ، سوف تكون أول حفلة أقيمها في بيتي الجديد الذى لم أسكن فيه إلا من مدة قريبة ! .

وكان فريد الأطرش قد ضاق فعلاً بالإقامة في الفنادق ، وخصوصاً بعد أن قرر إطالة إقامته في بيروت ، فاستأجر شقة كبيرة . . في « روف » عمارة أنيقة جديدة ، هى عمارة مدام أغيديان ، في محلة « اللوزة » التى لا تبعد عن قلب العاصمة أكثر من خمس دقائق بالسيارة وكلف صديقه المهندس أغوب أصلاًنيان بعمل الديكورات لها ، وفعلاً ، جاءت الشقة أنيقة وفخمة ، لا سيما بعد أن زينها فريد الأطرش بالمفروشات والتحف الثمينة ، وكانت الشقة مؤلفة من صالون كبير ، وملحق به صالون صغير ، وغرفة مائدة ، وغرفة نوم كبيرة للموسيقار الراحل ، وغرفة للتلفزيون ، وصالون شرقى ، وغرفتان للضيوف ، فضلاً عن المطبخ ، والشرقة الكبيرة المطلّة على بيروت من فوق .. وفي هذه الشقة بالذات كان يقضى الموسيقار الراحل أكثر أوقاته ، ويقم كل حفلاته ، وأحياناً كان يستغلها في تصوير المشاهد الداخلية في أفلامه ، أو يجرى فيها البروفات على أغانيه الجديدة ، أو الأغاني التى سيقدمها في حفلات المسرحية ..

وقال فريد الأطرش لفاتن حمامة إنه سيكون في منتهى السعادة بأن « يدشن » شقته ويبدأ حياته الاجتماعية فيها بحفلة يقيمها على شرف فاتن ، التى كان وجهها خيراً عليه في كل فيلم ..

وقبلت النجمة الكبيرة الدعوة إلى الحفلة التى أخذ فريد الأطرش يهتم بتنظيمها واختيار المدعوتين إليها ، وفعلاً ، كانت الحفلة لذيدة ممتعة ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها السيدة سلوى القدسى وزوجها نور الدين القدسى ، إلى منزل فريد الأطرش ، وكانت في الشهور الأخيرة تلتقي به في مناسبات عادية ، أو تراه في كازينو لبنان ، عندما كان يذهب مع شلته مساء كل سبت ، وتذهب هى مع زوجها ، إلى هناك ! .

فريد الأطرش كان ليلتها شعلة من المرح والحيوية ، وبلغ القمة في خفة الدم ، وقال المدعويه إنه تخيل نفسه امرأة ، وأخذ يمثل ، بمتهى الظروف كيف يتحرك ، ويتكلم ويغازل ، لو كان امرأة ، ثم أكمل برنامج الضحك الذى أراد أن يسلى به مدعويه ، فروى لهم أكثر من نكتة ، واستلقت فانت حمامة على ظهرها من شدة الضحك ، عندما روى لها نكتة عن نفسه ! .

قال فريد إن أحد المعجبين كان يتصل به باستمرار ، ويطلب إليه أن يكلمه ، فتجيبه الشغالة سنية :

— والله الأستاذ مش قادر يكلمك .. لأنه فى الحمام ! .

وعندما تكررت اتصالات المعجب ، وفى كل مرة يتلقى الجواب نفسه وهو أن « الأستاذ » فى الحمام ، صرخ فى سنية :

— هو الأستاذ وسخ للدرجة دى علشان يبقى فى الحمام ؟ ؟ .

وعلق فريد على النكتة ، واعترف للساهرين بأنه عندما يدخل الحمام لا يغسل جسده بالماء ، بل بالسيرتو فقط ، وقال : وتفضلوا شوفو أنا نضيف إزاي ؟ !
سهرة ولا ألطف ولا أمتع ..

وليلتها فقط كانت سلوى القدسى ترى فريداً الأطرش عن قرب ، وتكتشف ما عنده من مزاي لم تكن لتعرفها من قبل فى اللقاءات العابرة التى جمعت بينهما ..
وليلتها أيضاً ، لفتت سلوى القدسى اهتمام فريد الأطرش ، بحلاوتها ، وأناقها ، وجلستها ، ووجهها الضاحك دائماً ..

وعندما انصرف الساهرون من سهرة فريد الأطرش التى طالت إلى ما بعد منتصف الليل ، بقيت فى خيال الموسيقار الراحل صورة حلوة ، سلوى القدسى التى وجدت نفسها أيضاً تفكر بفريد الأطرش كثيراً ..
وطلع الصباح على سلوى وهى ما زالت تفكر ..

ومن هنا كانت .. البداية !

اعتاد الموسيقار فريد الأطرش الحياة في بيروت ، بعد أن استقر في بيته الأنيق في « اللوزة » ووجد أنه قادر على أن يمارس في بيروت النشاط الفني الذي كان يمارسه في القاهرة ..

ولعل أكثر ما جعل فريداً الأطرش يحس بالاطمئنان هو أنه كان يجد في بيروت من التقدير والحب ما يلقاه في القاهرة ، وكان فيلم « الحب الكبير » هو الذي جعله يطمئن أكثر فأكثر إلى أنه يستطيع في لبنان أن يمارس نشاطه الفني ، ويكسب كثيراً من هذا النشاط أي أن بيروت أصبحت بالنسبة له ميدان عمل جديد ، وليس مجرد بلد يقصده للتسلية والترفيه والسياحة ..

إن فيلم « الحب الكبير » الذي مثله الموسيقار الراحل وأنتجه على حسابه قد حقق نجاحاً شعبياً يفوق التصور ، كما در على فريد الأطرش أرباحاً جيدة لا تقل عن الأرباح التي آلت إليه من جميع أفلامه السابقة ، وإن كان قد اكتشف خلال عمله فيه أنه ليس قادراً على حمل مسؤوليات الإنتاج ، مما جعله يقتنع بأن من الأفضل له أن تكون الأفلام التي يمثلها من إنتاج سواه ، وأن يبقى هو في نطاق عمله الفني فقط ، فيمثل ويغني ويلحن ويتقاضى أجره الذي لا يقل عن مائة وخمسين ألف ليرة لبنانية ، وليهنأ من ينتج الفيلم بالأرباح التي تدخل إلى جيبه ، وهي لا تقل عن ضعف هذا المبلغ .. وكانت مشكلة فريد الأطرش الوحيدة في بيروت هي أن يجد شلة من الأصدقاء يرتاح إليها ، ويعيش معها ، وتعيش معه ولا تفارقه أبداً كما كان حاله وهو في القاهرة ، ومن هذه الناحية فإن الموسيقار الراحل كان يحب ويفضل أن يكون له فريق من الأصدقاء لا يتعد عنهم أبداً ، وبالرغم من أنه فنان مشهور ، وإنسان كبير ورجل يتميز بكل الصفات التي يمكن أن تجعل منه نجماً مشهوراً ، فإنه كان يتعد عن الاختلاط بالمجموعات الراقية ، ويتجنب حضور الحفلات الكبيرة ، وحتى إذا اضطرت له المجاملة

إلى حضور أية حفلة ، فإنه كان يشعر بالاختناق ، ويسارع إلى اختصار وجوده فيها والعودة إلى شلة الأصدقاء التي لا يمل عن مجالستها وعشرتها أبداً ..

وذات يوم اضطر الموسيقار الراحل إلى حضور حفلة اجتماعية كانت تقام على شرف السيد كمال الأسعد ، رئيس مجلس النواب في لبنان ، وفي منتصف السهرة ، سأله الرئيس الأسعد قائلاً :

– يا أستاذ فريد ، نحن معجبون بك كثيراً ، فهل يمكن أن تسمعنا شيئاً من أغانيك هذه الليلة ..

وشعر فريد الأطرش بالإحراج أمام هذا الطلب ، ولكنه مع ذلك رد على الرئيس كامل الأسعد معتزلاً له بأن حالته الصحية لا تسمح له بأن يغنى ، ثم ، بدون أن يشعر به أحد ، خرج من السهرة وعاد إلى بيته ، وقال لى ونحن معاً في السيارة .

– هل عرفت الآن لماذا لا أحب حضور الحفلات الاجتماعية ، إنهم يريدوننى أن أغنى ، وربما كان ذلك دليلاً على حبيهم وتقديرهم لى ، ولست أستطيع فى كل سهرة أن أقف لألقى خطاباً أقول فيه إننى متعب صحياً ، وإن الغناء فى سهرة خاصة وبدون فرقة موسيقية ليس عملاً هيناً بالنسبة لى ، ولذلك ترائى أن تجنب الحفلات والسهرات العامة ، ولا أستريح إلا مع الناس الذين ينسون أننى فنان ، ويعاشرُونى كصديق وإنسان عادى ..

وفى ذلك الحين كان فريد قد اختار مجموعة الأصدقاء والصديقات التى لا يخرج من نطاقها أبداً ، وكان منهم صهره الوحيد رياض جنبلاط ، وقرينته السيدة كاميليا الأطرش ، ابنة المرحومة أسمهان ، والفنان عبد السلام النابلسى – رحمه الله – وزوجته جورجيت ، ومنتج الأسطوانات روبر خياط ، وغيرهم من الذين لم يكن عددهم يزيد على عدد أصابع اليد ، وكان فريد الأطرش يستقبل بين الحين والآخر الأصدقاء والصديقات من أهل الفن الذين يفدون إليه باستمرار من القاهرة ، فيرحب بهم بحرارة

ويدعوهم إلى العشاء في بيته ، أو إلى الغداء في فندق « البريستول » الذي كان مقرّاً له ظهر كل يوم ، يلتقى فيه بالناس الذين بينه وبينهم مواعيد عمل ، ولا يريد لهم أن يتعبوا أنفسهم في الذهاب نهاراً إلى بيته البعيد زهاء عشرة كيلو مترات عن بيروت ! .

وعلى الرغم من أن الموسيقار الراحل كان قد استقر في بيروت تماماً ، وصار يذهب منها في رحلاته السنوية إلى أوروبا ثم يعود إليها ، فقد كان يلزمه الشعور دائماً بأن إقامته في بيروت هي إقامة مؤقتة ، وأنه لا بد أن يعود إلى مقر إقامته الطبيعي في القاهرة . .

والذين كانوا يسألونه عن سبب هجرته من مصر ، كان يجيبهم دائماً :
- ياناس ، أنا لم أهجّر مصر ، أنا فقط أوزع إقامتي بين بيروت والقاهرة ، وأنا دائماً أوصي علناً بأن أدفن في مصر ، إلى جوار أختي أسمهان ، فيها لو مت وأنا بعيد عن مصر ..

ويسألونه :

- ولكنك منذ حرب ١٩٦٧ لم تعد إلى مصر أبداً ..

فيجيب :

- لم أذهب إلى مصر هذا صحيح . ولكن بيتي في القاهرة ما زال مفتوحاً ، ثم ، أنا مريض ، والمناخ في لبنان يلائمني أكثر ، ومجالات العمل الفني أجدها هنا ولا أجدها هناك ، بعد أن أصبح الإنتاج السينمائي في يد الدولة ، فضلاً عن أنني أقدم للإذاعة كل أغنياتي بلا مقابل ..

ويسكت فريد الأطرش عند هذا الحد ولا يطيل الحديث في هذا الموضوع ولكنه يعود ليهمس بأنه عاتب على الفنانين والمسؤولين الذين لا يقدرونه كما يجب ، ويروى أنه أراد ذات يوم أن يسافر من القاهرة إلى بيروت لزيارة أمه المريضة ، ثم للذهاب

إلى طبيبه الخاص الدكتور جيسون في لندن ، فظل أكثر من شهر يحاول الحصول على تأشيرة خروج دون جدوى ، إلى أن عرف بذلك صديقه الشاعر المرحوم كامل الشناوى ، فأوصل شكوى فريد بواسطة الصحفي الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر الذى أمر بإعطاء تأشيرة الخروج فوراً لفريد الأطرش . . . ومضى الموسيقار الراحل يعيش أيامه ولياليه في بيروت بين الأصدقاء والصديقات ، ويحاول دائماً ألا تفوته ساعة واحدة دون الاستمتاع بحياته ، وكانت صدمته بوفاته صديقه الراحل عبد السلام النابلسى ، قاسية وعنيفة ولكنه تحملها بالصبر ، وتغلب على أحزانه وآلامه ، وكان يجد العزاء دائماً في القلوب المحبة التى تحيط به من كل جانب ..

ويوماً ، في نيسان « أبريل » ١٩٦٩ انفجرت في بيروت اضطرابات سياسية وشعبية أدت إلى إعلان قرار منع التجول كل يوم من السادسة مساء وحتى الساعة صباحاً في العاصمة اللبنانية وضواحيها ، وفوجئ الموسيقار بأن معظم أصدقائه ليس بوسعهم الوصول إلى بيته أو زيارته في الليل ، وكان معنى هذا أن يقضى الليل وحده في البيت - وهو أقصى ما يمكن أن يحكم به عليه ..

وأكثر ما كان يقلق فريد الأطرش ويعذبه هو أن يقضى الليل وحيداً ، بلا ناس ، بلا تسلية ، بلا أصدقاء يظلون معه إلى أن يطلع النهار ، ويصبح باستطاعته أن يأوى إلى فراشه بعد أن يكون قد تناول الأقراص المهدئة التى تمكنه من النوم .. الوحدة كانت تعذب الموسيقار الراحل ..

كان يقول لى : بين أصدقائى وأحبائى أنسى آلامى وهمومى ، ولكن عندما أكون وحدى ، أصبح نهياً للأفكار السوداء ، ويعمر فى مخيلتى كل ما أعانيه ، ويتمكننى القلق ... وأتصور أشياء وأشياء .. لا أتمكن معها من الاستسلام للرقاد .. وما دام يكره الوحدة ، ولا يستطيع النوم مبكراً ، فماذا يفعل فريد الأطرش

والأصدقاء كلهم خافوا مما يحدث فى الشارع ، فلم يخرجوا من بيوتهم ، ومعظمهم لا يجرؤ على مخالفة قرار منع التجول والخروج من بيته ! .

ومرة قال لى : إيه الحل ؟ ؟

وأجبتة : الحل هو أن تخرج أنت وتذهب إلى بيوت الأصدقاء ، فأنت فنان مشهور ومحبوب ، ولا أظن أن أحداً سوف يعترضك أو يمنعك من التجول ...
وقال لى : ده صحيح .. ولكنى أحب التغيير ، أريد أن يجىء الأصدقاء إلى كما أذهب أنا إليهم ..

وفكرت لحظة ، ثم قلت له :

- اطمئن .. سوف أوفر للأصدقاء الذين تريد بطاقات تجول ، تسهل لهم الانتقال من بيوتهم للسهر معك ..

وفعلا ، وزعت البطاقات المطلوبة على عدد محدود من الأصدقاء ، كان بينهم نور الدين القدسى وقرينته سلوى ، وعلى امتداد ثلاثة أسابيع هى المدة التى فرض فيها منع التجول ، كان فريد الأطرش يقضى ليلته مع هذه المجموعة القليلة من الأصدقاء .
وقبل أيام من انتهاء منع التجول قال لهم :

- اسمعوا .. لقد هجرت كل أصدقائى ، وشعرت بالارتياح إليكم ، حذار أن تغدروا بى بعد انتهاء منع التجول وتنصرفوا عني .. إننى لا أستطيع أن أعيش بلا أصدقاء ..
وضحك الجميع وقالوا بصوت واحد :

- وهل يمكن لأحد أن يرفض صداقة إنسان رائع مثل فريد الأطرش ..

وفجأة ، التفت الموسيقار إلى ... ، وإلى نور الدين وسلوى القدسى ، وقال :

- اسمعوا .. بعد مدة سوف أسافر إلى أوروبا .. إيه رأيكم نكون كلنا مع بعض ؟ ؟ .

يا سلام وتبقى رحلة هائلة !

واتفق الأصدقاء على الرحلة . . . وبقى على فريد الأطرش أن يحدد موعدها ! .

ولم يتحدد الموعد . .

ولم تبدأ الرحلة . .

لأن فريد بدأ رحلة أخرى . . رحلة الموت . رحمه الله .

محمد بديع سرية

فريد .. فنان لا يسكر ..



بقلم : محمد الموجي

كان هو المذيع الوحيد في قريتنا !
إنه المذيع الذى يملكه ناظر الزراعة فى قرية « دمرو » مركز المحلة الكبرى ..
وهى القرية التى ولدت فيها .. وشببت بين حقولها .. وعرفت الغناء والموسيقى من خلال
الراديو الوحيد فيها .

وفى إحدى المرات ، وكان عمى حوالى الثالثة عشرة .. التقطت أذناى أغنية من
مذيع ناظر الزراعة .. كانت هى الأغنية التى عرفتنى بفريد الأطرش لأول مرة .
إنها الأغنية التى يقول فيها ..

كرهت حبك .. من كتر صدك .. وكرهت فيكى كتر الدلال ..
على إيه أحبك .. والا أودك .. مش عايز اشوفك ولا فى الخيال .
كانت تلك الأغنية من تلحين الموسيقىار مدحت عاصم .. وكما هى العادة مع
معظم أغانى فريد الأطرش .. فإننى أحببتها وحفظتها ورددتها من أول مرة !
ومن يومها بدأت علاقتى بفريد الأطرش !

وبالإضافة إلى الغناء والموسيقى .. كانت هناك روابط إضافية تجمعنى ، وأنا الصبي
الصغير بالموسيقار والمطرب المشهور فريد الأطرش .

كنت أهوى الرسم ... إلى جانب الغناء والموسيقى .. وكان فريد وقتها موضوعاً جذاباً
ومغرياً للرسمين الصحفيين .. وخصوصاً رسامى الكاريكاتير .. إننى أذكر هنا بالذات

مجلة البعكوكة التي كانت شعبية ومشهورة وقتها .

وكلما رسمت المجلة صورة فريد الأطرش على غلافها .. كنت أجد نفسي وأنا أحاول تقليد تلك الرسوم لشخصية أحبا .. ضاعطاً في كل مرة على السمات المميزة لفريد الأطرش .. بوجهه المستطيل وحواجه الكثيفة وتسريحته وتعبير الحزن البسيط والدائم .

ولم يكن الحزن سمة شخصية فقط بالنسبة لفريد .. ولكنه كان سمة فنية أيضاً . كان الحزن في صوته يخاطب شيئاً دفيناً في داخلي . لقد كنت منعزلاً وانطوائياً بطبيعتي وكنت أحس أن هناك نوعاً من العشرة بيني وبين صوت فريد الأطرش . وحتى حينما كان فريد يلحن لغيره .. كنا نجد بصماته واضحة في اللحن والغناء أيضاً وأوضح مثل ذلك المرحومة أسمهان ، عل اللحن والغناء أيضاً . وإن أبرز مثل تعبه ذاكرتي لذلك الآن هو أغنية رجعت لك يا حبيبي بعد الغياب ... وهي التي كانت تغنيها أسمهان من ألحان فريد .. في تلك الأغنية .. ما زلت حتى الآن أسمع بوضوح عزف فريد على العود .. وغناؤه مع الكورس .. بالإضافة إلى صوت أسمهان نفسها .. وكان فريد .. إلى جانب كونه ملحنًا ومطرباً .. أكثر من ساحر في عزفه .. لقد كان له تكتيكه الخاص في العزف على العود .. وكان له مستواه الخاص في الإتقان .. من حيث إن فرقة موسيقية كاملة كان يمكن أن تضبط نفسها على عوده . إنني أؤكد أن صورة فريد في عزفه .. قد شدتني تماماً في البداية .. بحيث إنني كنت أتدرب على العزف على العود .. وصورة فريد في مخيلتي دائماً . ومن وقتها وفريد الفنان يفرض نفسه على دائماً ..

فعندما انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الزراعة بالمحلة الكبرى .. اختارني مدرس التربية الزراعية .. وكان اسمه « أبو الوفا » لكي أشارك بالغناء في أول حفل سمر يقيمه فريق الكشفية بالمدرسة .. وبمجرد أن صعدت إلى المسرح .. وجدتني أغني تلقائياً

أغنية « عشك يا بلبل »

وعندما تخرجت وعملت ناظراً للزراعة .. كانت أول سهرة لى هى مع أغنية « باللاسوا .. » فبمجرد أن بدأت سهرتنا كأصدقاء .. دخل علينا صديق ليرف لنا آخر الأنباء .. إن فريداً أذاع أغنية جديدة اسمها باللاسوا .. وبمجرد أن بدا الصديق يردد الأغنية .. ظللنا نردها معه جميعاً طوال السهرة ..

هكذا بدأت علاقتى بفريد الأطرش كمستمع .. أما علاقتى به كفتان .. فلم تبدأ مبكراً .. فسنوات طويلة كانت قد مضت على اشتغالى بالفن .. قبل أن أعرف أول رأى لفريد الأطرش فيما أفعله . كانت قد أذيعت لى فعلا ألحان قدر لها أن تنجح وتحظى بقدر لا بأس به من الشهرة .. ومنها أغنية صافينى مرة .. وبتقوللى بكره .. اللتين غناها المطرب عبد الحليم حافظ .

وحدث فى تلك الفترة التى كانت هى مطلع الخمسينات أن سألت إحدى المجلات الفنية بعض الملحنين عن الموجة الجديدة التى بدأها كمال الطويل وأنا . وأذكر أن الأستاذ أحمد صدق علق على السؤال قائلاً : دول ناس باين عليهم زى ما يكونوا جايين من الصعيد الجوانى .

وقال الأستاذ محمود الشريف : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم .. أما الأستاذ فريد الأطرش فقد أجاب بقوله .. لا أستطيع أن أقول رأى فى كمال الطويل ومحمد الموجى الآن ... لا بد أن يستمر فى العمل بهذا المستوى على الأقل عشر سنوات .. حتى نستطيع أن نحكم هل يمثل نجاحهما خبطة حظ .. أو يمثل طفرة فنية ..

كانت تعليقات الجميع صعبة .. ولكن تعليق الأستاذ فريد الأطرش كان أكثرها حناناً .. بل أكثرها إنعاشاً لحماستنا .. كمال الطويل .. وأنا ..

لقد كان فريداً كبيراً دائماً .. طيب القلب دائماً .. في داخله قدر كبير من حب المنافسة .. وليس في داخله ذرة واحدة من الغيرة !

إنني أذكر أول مرة دخلت فيها بيت فريد الأطرش .. وكان قد دعاني هو - مع عدد كبير من أصدقائه وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبرغم أننا في الجزء الأول من السهرة كنا مندمجين في سماع أغنية « أسمع .. أسمع .. أسمع لك » .. وهي التي كانت تمثل وقتها أحدث أغنيات فريد الأطرش .. فإن زوجتي - أم أمين - كانت مبهورة تماماً بوجود الأستاذ محمد عبد الوهاب .

وبينما كنا نحن مندمجين مع أغنية فريد .. كانت « أم أمين » تتحدث مع الأستاذ عبد الوهاب عن أغانيه التي تعشقها منذ الصغر .

ولكن فريداً كان يأخذ الأمر ببساطة ودعابة وفكاهة .. قائلاً لأم أمين : طبعاً يا ست .. أنا حاروج فين جنب عبد الوهاب .. ناس لها بخت وناس مالهش ..

وفي تلك الليلة عرفت من فريد الأطرش وعنه .. ما أثبتت لي الأيام بعد ذلك صدقة بدرجة مذهلة ، فبعد أن انتهت السهرة وبدأ جميع الأصدقاء الذين تتكون منهم شلة فريد الدائمة نحاني فريداً جانباً ونحى من على وجهه تعبير المرح الكامل الذي كان مرتسماً طوال السهرة .. وقال لي في جدية وحزن يقترب من الكآبة :

تعرف يا موجي .. ؟ أهو دلوقت كل دول يخرجوا يتريقوا على .. !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة بدرجة مدهشة .. ولكن كان يخفف منها أن فريداً نفسه أول من يعرف ذلك عن معظم الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من أصدقائه .

وبرغم أنني كنت معجباً بفن فريد الأطرش منذ بدايتي المبكرة .. فإن الفن .. أو العلاقة الشخصية لم تجمعنا بين فترات متباعدة كنت أبادر أنا فيها إلى التعبير عن مشاعري الدائمة نحو فريد الأطرش .. الذي كان يحقق لنفسه - ولنا - صورة مشرفة كفنانيين . ربما من أجل هذا كنت قد رشحت نفسي مرة في سنة ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ -

لا أذكر على وجه الدقة - لمنصب رئيس جمعية المؤلفين والملحنين ولكن بمجرد أن علمت أن الأستاذ فريد الأطرش ينوى أن يرشح نفسه .. ذهبت إلى الجمعية وأعلنت تنازلي على الفور .

وربما من أجل هذا أيضاً كان فريد برغم تلاقينا المتباعد يعرف على وجه التأكيد .. وبصفة دائمة .. مشاعري نحوه .

ولقد حدث في إحدى المرات التي كنت فيها في لبنان أن فوجئت ذات صباح بمجلة لبنانية تبرز خبراً يعبر عن نشاطي الجديد .. وبأن على رأس هذا النشاط أن فريد الأطرش سوف يغني من ألحاني .. بعد أن بدأت فعلاً في إعداد لحن جديد لفريد . لم يكن للخبر أى أساس من الصحة طبعاً .. ومع ذلك فإنني فضلت في تلك المرة أن أستنكر الخبر لفريد الأطرش بنفسى .

لقد طلبته في التليفون وسألته عما إذا كان قد قرأ الخبر ؟ .. فأجبنى بالنفي . وبمجرد أن شرحت له ما حدث .. وقبل أن أعلن له أنه لا أساس للخبر على الإطلاق فوجئت بفريد يقاطعني ضاحكاً وهو يقول .. يا ريت .. والله يا محمد حياة أُمى أقولها لك من كل قلبي يا ريت وأنا مستعد أغني من ألحانك فوراً . كان فريد فناناً بسيطاً وكان فريد أيضاً إنساناً بسيطاً ..

فقبل وفاته بأشهر قليلة كان أحد المنتجين السينمائيين قد استدعاني إلى بيروت للالتقاء من تلحين أغنية للفنانة صباح .. ولأن الانتهاء من تنفيذ اللحن لا يستغرق في العادة أكثر من أسبوع .. فقد اتفق المنتج مع الفندق فعلاً على تغطية مصروفاتي لمدة أسبوع . ولكنني لسبب أو لآخر لا شأن لي به .. ، امتدت مدة تنفيذ وتسجيل الأغنية إلى خمسة عشر يوماً ..

وفوجئت صباح يوم سفرى بمصروفات إضافية ضخمة يجب أن أدفعها . وتحيرت ماذا أفعل .. فلم يكن قد بقي معي ولا ليرة واحدة .

ووجدت نفسى أرفع سماعه التليفون وأطلب فريد الأطرش .
 إنتى لم أفكر فى أن أطلب المنتج .. ولا حتى فى أن أطلب الفنانة صباح .. ولكننى
 بدلا من ذلك وجدت نفسى أطلب فريد .. وأقص عليه ما حدث .
 وفى خلال عشر دقائق كان فريد قد أرسل إلى سكرتيرته حاملة إلى مبلغاً هو ضعف
 المبلغ الذى يجب على أن أدفعه .

وعدت إلى القاهرة عارضاً على فريد رد المبلغ فى أول مرة رأيته فيها .. ولكنه رفض
 بإصرار وبعد وفاته اخبرت المحيطين بفريد الأطرش بالقصة وبرغبى فى تسديد المبلغ
 ولكنهم رفضوا أيضاً قائلين : ما دامت تلك رغبة فريد فهى رغبتنا أيضاً .. .

وفى مرة أخرى تكررت نفس القصة ولكن مع فرقة موسيقية بأكملها ..
 كانت الفرقة الماسية سحى بعض الحفلات فى « دى » وفى طريق عودة أعضاء
 الفرقة وكان عددهم حوالى الثلاثين من دى إلى القاهرة توقفت بهم الطائرة فى بيروت
 وأصبح عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى من بيروت إلى القاهرة .
 وكانت أول طائرة إلى القاهرة هى فى اليوم التالى ..

واحتار أفراد الفرقة .. ووقعوا فى مشكلة .. لأنهم لم يكونوا يحتفظون بأية نقود فى
 عودتهم وأصبح عليهم فجأة أن يقضوا فى بيروت ليلة على نفقتهم الخاصة .

وتجمع أفراد الفرقة فى فندق بريستول ليتدبروا ماذا يفعلون . وبينما هم يتشاورون إذا
 بفريد الأطرش يراهم صدفة فى أثناء خروجه من الفندق وبمجرد أن علم بالمشكلة أصر
 على أن ينزل الجميع فى فندق بريستول على نفقته الخاصة .

وفى تلك الليلة نفسها .. فوجئ أعضاء الفرقة أيضاً بأن فريد قد أعد لهم مأدبة
 ضخمة . تكفى لمائة فرد لا لثلاثين فى مطعم اليلد زلار المشهور .

كان هذا هو فريد الإنسان ..

وكان فريد الفنان هو بنفس القدر من البساطة والوضوح ..

لقد وجدت نفسي في مطلع حياتي متأثراً للغاية بفريد الأطرش .. إلى درجة أنني بعدوى حزنه على وفاة أخته المرحومة أسسمهان أتمنى لو كنت أنا قد لحنت لها ...

وفريد الأطرش بدأ حياته الفنية بالعمل مع بديعة مصابني .. وشاءت الصدفة بعد ذلك أن أبدأ أنا الآخر حياتي الفنية بالعمل مع صفية حلمي .. وهي التي كانت التلميذة الأولى لبديعة مصابني .

وعندما بدأت أحصل على أول أجر لي في كازينو كوبانا الذي كانت تملكه صفية حلمي .. كان الأجر هو مجرد عشرة قروش في الليلة ولكن الأمر كله هان على لأن فريداً بدأ حياته عند بديعة بأجر أقل من ذلك الذي أبدأ به أنا عند صفية في سنة ١٩٤٩ .

إن الفنان لا بد أن يعطى أولاً ويعطى الكثير - قبل أن يأخذ .
والفنان لا بد أن يعيش الحياة في أكثر نقطها انخفاضاً .. قبل أن يجرب الحياة بعد ذلك .. عند أكثر نقطها ارتفاعاً ..

والفنان لا يمكن أن يكون أبداً « خلفه شيطاني » إن جذوره يجب أن تمتد في الأرض فإذا أراد لفنه بعد ذلك أن يعبر عن الناس فلا بد أولاً أن يخرج من الناس .. ولقد استطاع فريد أن يخرج من الناس لكي يعبر بعد ذلك عنهم .. بل إنني أعتقد أن فريداً لم يحصل في حياته على فرصته الكاملة في التعبير عن الناس .. ولو تحققت تلك الفرصة في حياته لكانت النتيجة بعد ذلك مدهشة .

ذلك لأن فريداً الأطرش كان أحسن من يصلح للمسرح الغنائي .
إنني شخصياً أعتقد أن الكازينو الذي أقامه فريد الأطرش في بيروت وانتقده في ذلك كثير من .. كان المقصود به أن يكون مسرحاً استعراضياً .. ولكنه أخطأ الطريق في نقطة ما .. بحيث استقر عند كونه مجرد ملهى ليلي .
لقد كان فريد بطبيعته فناناً مسرحياً ..

إنه مبدئياً يعتبر واحداً من أحسن الذين قدموا ألحاناً استعراضية للمسرح الغنائي ..
 إن دليلي الواضح في ذلك هو ألحانه الاستعراضية التي قدمها في أفلامه السينائية ، ولو
 ضربت مثلاً واحداً على ذلك فسوف اختار استعراض « بساط الريح » .. الذي لا
 يتجاوز مدته ربع الساعة أو ربما عشر دقائق. في تلك الدقائق العشر جمع فريد
 كل فنون المنطقة العربية تقريباً .

إن هذا الاستعراض نفسه يحمل بذرة المسرحية الاستعراضية الغنائية الكاملة ..
 وبالإضافة إلى ذلك فإن فريد كان يملك « النفس الطويل » الذي يعتبر شرطاً جوهرياً
 للنجاح في المسرح الغنائي إنه كان من الفنانين القلائل الذين يستطيعون الغناء على المسرح
 ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات متواصلة .

كان فريد يمتلك النفس الطويل مسرحياً ... وكان يمتلك الحضور المسرحي .. والجرأة
 الضرورية لكل فنان يواجه الجمهور من فوق مسرح ... وكان يمتلك حتى « الوقفة
 المسرحية » إن من يلاحظ الاستعراضات الغنائية التي قدمها فريد في السينما يلاحظ مدى
 قدرته على إقناع المتفرج بأنه يغنى من فوق مسرح محتشد بالجمهور .. وليس من
 داخل بلاتوه يخلو تماماً من الجمهور ..

إن من يرى كل هذا ويجمعه معاً .. يحصل في النهاية على نموذج كامل لفنان اختار
 منذ مولده أن يكون فناناً مسرحياً ... ومع ذلك فإن هذا لم يحدث في حالة فريد الأطرش
 بغير سبب واحد مفهوم ندرية أو نعلمه .

وكان فريد نموذجاً فريداً حقاً للفنان الذي يعطيه فنه قوة إضافية مذهشة .. إن
 فريداً المطرب والملاحن استطاع أن يهز فاروق الملك والسلطان بأغنية واحدة اسمها نورا
 نورا .. يا نورا . وإلى جانب أن هذه كانت غالباً ميزة مضافة وكبيرة في فن فريد الأطرش
 فإنها كانت في بعض الأحيان ميزة مخصصة منه .

فلقد ترتب على اندماج فريد العاطفي في فنه حتى النهاية . . أن أضنى على أغانيه

طابعا حزينا مميزا .

لقد كان هذا أمراً غريباً ومحيراً في الوقت نفسه . ففريد ، كفنان وإنسان كان يتذكر ماضيه بحب .. وفي الوقت نفسه كان يعيش حاضره بابتهاج ومرح وتفاؤل وحب ، ولكن عندما كان الأمر يصل إلى المستقبل فإن هذا الإنسان البسيط المرح . . كان يتحول إلى إنسان آخر يخلو من البساطة أو التفاؤل والمرح .

ما هو السبب بالضبط ؟

لا أعرف .

إن فريد الأطرش الفنان كان متميزاً من نواح كثيرة على المستوى الإنساني .. وعلى المستوى الفني فإنني أعتقد أن قيمة فريد كمطرب تأتي في الدرجة الأولى قبل قيمته كملحن .

لقد كان صوت فريد الأطرش بارزاً ومتميزاً في الغناء العربي خلال كل العصر الذي عاشه هو وعشناه نحن معه . إن فريد كان واحداً من أربعة غنوا بالموهبة نفسها . . أربعة أعتقد أنا أنهم أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ . إنني أعتقد أن فريداً كان يرى موهبته الصوتية من الزاوية التي أراها أنا بها هنا .. بدليل أنه لم يمانع أبداً بلى رجب في كثير من الأحيان بأن يغني بصوته من ألحان غيره ... ولو كان هذا قد حدث فأعتقد أن الملحنين الآخرين كانوا سيرزون جوانب أخرى ممتعة في صوت فريد الأطرش قد لا يكون هو قد تنبه لها .. أو ربما يكون التفسير موجوداً بشكل آخر .. فربما لم يجد فريد مثلاً من يستثمر صوته أحسن منه .. فقرر أن يركز على استثماره ..

ولكن حتى مع وجود هذا التفسير فإنني ما زلت أكرر اعتقادي بأن استسلام فريد المطرب لفريد الملحن لفريد الإنسان .. جعل معظم أغانيه تخرج في النهاية حزينة بالشكل الذي لسناء جميعاً ، وحتى في الحالات القليلة التي كان فريد يؤدي فيها ألحاناً

هى بطبيعتها تعبير عن مواقف مرحة وموسيقى مرحة فإنه كان يؤديها أيضا بصوت فيه من الحزن الدفين قدر كبير .

إن أقرب مثل أتذكره لذلك هو أغنية « دقوا المزاير باللا . . » في تلك الأغنية لا يستطيع إنسان أن ينقل الحزن المكتوم في صوت فريد حتى في موقف غير حزين .

هل كان السبب هو وجود شرخ عاطفي عميق في نفس فريد الأطرش ؟

هل كان السبب هو حزنه العميق على وفاة أخته أسمهان ؟

هل كان السبب هو إحساسه بأن كل العواطف التي يراها امامه وحوفا مزيفة وكاذبة ؟
إن فريداً الأطرش كان فناناً صادقاً .. وإنساناً صادقاً .. وسط إطار يخلو منه الصدق تماماً ، بل يملؤه الكذب تماماً .

إنني لم أر إنساناً طيباً ومخلصاً وصادقاً في مشاعره بمثل ما رأيت فريداً الأطرش .. كان فريد صادقاً للغاية حتى في الطريقة التي يصافح بها أو يقبل بها صديقاً له .. إن اليد الممتدة .. والكلمة المرحبة والابتسامة الصافية .. كلها تؤكد أن صاحبها لا يفتعل شيئاً ليس فيه . . ولا يرتدى قناعاً على عواطف يخلو منها . . ولا يرسم على وجهه ترحيلاً لا يحس هو به .

ربما من أجل هذا لم يكن فريد الأطرش ناجحاً كممثل . إن التمثيل لم يكن من طبعه .. وبالإضافة إلى ذلك فإن التمثيل كان يتنافى أصلاً مع طبيعة شخصيته . والذين شاهدوا أفلام فريد الأطرش ، وهى عموماً كانت أفلاماً ناجحة جداً من الناحية التجارية ، فإنه كان يشاهدها سعيًا وراء صوت وموسيقى فريد الأطرش ، وليس سعيًا وراء تمثيله .. بل إنني أقول .. بالرغم من تمثيله !

ولم يكن فريد وحده في ذلك .. محمد عبد الوهاب نفسه حدث له التجربة نفسها في السينما . أنا أيضاً حاولت مرة أو مرتين . ولكن فريداً استمر في السينما مدة أطول لأن الممارسة تؤدي إلى مزيد من الممارسة .

ومع كل فيلم جديد لفريد .. كان الإنسان يحس أن النجاح هو أولاً نجاح فنى قبل أن يكون نجاحاً تمثيلاً .. وكان يشفع لفريد فى ذلك أن المتفرج كان يحس فى كل مرة أنه أمام فنان حقيقى وصادق « تورط » فى أن يكون ممثلاً .. أو أصبح ممثلاً بحكم الضرورة ، وليس بحكم الهواية والقدرة !

لقد طغى صوت فريد الأطرش وموسيقاه على أى جانب آخر فى فنه . وليس صدفة أبداً أن تظل أغنية « الربيع » هى الأغنية الأولى المعبرة فعلاً عن الربيع طوال أكثر من خمس وعشرين سنة ! فى تلك الأغنية يستطيع الإنسان أن يشم فعلاً رائحة الورد والنسيم والربيع منذ أول دقيقة ! لقد اعتدنا جميعاً أن يكون هذا اللحن هو أول جزء أساسى من استقبالنا للربيع فى كل سنة . وطوال تلك الفترة ، وهى طويلة فعلاً ، لم يستطع أى فنان آخر أن يقدم بديلاً يتفوق على تلك الأغنية . أو يقترب من تأثيرها .

إن ما سوف يبقى من فريد الفنان هو الشئ الكثير جداً . يكفى . سرب هنا نماذج بأبرز الأعمال الغنائية التى قدمها لنا على امتداد سنوات طويلة .. وعلى رأسها مثلاً : حبيب العمر .. أول همسة .. الربيع .. حكاية غرامى .. إلخ .

إن فريد الأطرش يمكن تلخيص حكايته كلها فى أغنية واحدة منها هى أغنية أغنية « حكاية غرامى » .. لأنها كانت تمثل فعلاً حكايته الشخصية . إنها لم تمثل حكايته مع امرأة محددة . أو حالة واحدة . ولكنها مثلت حكايته مع كل امرأة .. ومع المرأة بصفة عامة .. بحيث كان يجب أن يسميها « حكاية حكايتى » مثلاً .. وليس « حكاية غرامى » !

ولقد أثر فريد الأطرش بموسيقاه فى كثيرين من الذين عاصروه .. بشكل أكبر جداً من تأثره هو بالذين عاصروه !

وكان فريد فى موسيقاه صورة صادقة لفريد فى عواطفه . وحتى فى الحالات التى كان فريد يلحن فيها لغيره .. فإنه لم يكن يبخل مطلقاً فى تدفق عواطفه هو على اللحن

الذى يقدمه . ذلك لأن فريداً كان رمزاً للفنان الذى يعمل من أجل الفن .. وليس من أجل دوافع أكثر عملية من ذلك !
إن أصدق صورة لذلك .. كانت هى صورة فريد حينما يعزف على عوده مع الفرقة الموسيقية فى أية أغنية يقدمها .

فن الناحية الشكلية كان الإنسان يحس أن فريداً حنون على الفرقة الموسيقية بأكملها .. وأنه يتعامل معها موسيقياً وفتياً باعتبارها جزءاً أساسياً منه ، وليس جزءاً خارجاً عنه .. هذا بالزعم من أن فريداً كانت له قيمته الخاصة ، وربما الكافية ، كعازف على العود .

وحيثما كان فريد يعزف على العود . فإنه كان نموذجاً للفنان من ناحية .. ونموذجاً للفنان الذى يعطى صورة مشرفة للموسيقى الشرقية من ناحية أخرى .
لقد كان فريد واحداً من أبرز الذين أحبوا الموسيقى الشرقية وحافظوا عليها .. وعملوا على تحقيق التطور من خلالها . إن مسألة الخروج بموسيقانا إلى العالم قد شغلته طبعاً .. ولكنه كان مؤمناً بأن خروجنا بالموسيقى إلى العالم لا يجب أن يكون على حساب تمسكنا بطابعنا الشرقى الخاص المتميز .. إنه كان يردد أننا لو خرجنا إلى العالم ، حتى ولو بـ « طقطوقة » .. أو أغنية صغيرة .. فإن هذا يصلح كبداية صادقة وناجحة .

وفريد الأطرش لم يكن أبداً ضد تطوير الموسيقى الشرقية . . وهو لم يكن أيضاً ضد إدخال بعض الآلات الغربية فى الموسيقى الشرقية .. ولكن المسألة كلها أنه كان يرى أننا لا بد أن نوظف الآلة الغربية فى موسيقانا بشكل يخدمنا نحن قبل أن يخدم الآلة نفسها .

ولقد كان فريد الأطرش نفسه أول من حقق ذلك على مستوى عظيم مشرف للفن والفنانين . والواقع أن فريداً الأطرش كان فناناً لا يتكرر .

عزیزی فرید الدطرسی



بقلم : أحمد فؤاد حسن

الخطاب الأول

« عزيزى الراحل ..

كتبت لك هذه الرسالة فى صيف العام الماضى ..

وقررت أن أنشرها مع بداية العام الجديد ..

ولم أكن أدري أنك لن تقرأها أبداً .. .

فقد رحلت عنا إلى الأبد

وجلست أحاول تحويلها لأخاطب فريداً الراحل ..

وعبثاً حاولت ... !

وها هى ذى كما كتبته تماماً . وأنت معنا ..

لأننى أحس دائماً أنك معنا .

• بفنك .

• بوفائك .

• بصدافتك الصادقة التى لا تموت » .

... .. كما أن الزواج والاستقرار يا عزيزى فريد كانا أبعد شئ عن حياتى ...

ولم يخطرأ على بالى قط . فأصبحتُ أمراً واقعاً وأصبحتُ حياتى كلها . فكذلك صداقتنا

كانت فى يوم ما أبعد شئ عن حياتى . فأصبحت صداقة من نوع جديد . . فريد . .

صدقنى يا عزيزى أنى وكل جيلى الجديد من الموسيقيين (الذى أصبح ليس جديداً
 الآن) . كنا وقتئذ ننظر إليك كما كان ينظر الضباط الأحرار إلى الأسرة المالكة قبل
 الثورة ... لماذا ؟
 أقول لك لماذا

كان جانب الكفاح فى حياتك خافياً علينا !
 حينما بدأت حياتنا الفنية العملية لم نكن نعرف عن فريد الأطرش غير أنه فنان
 أرسقراطى النزعة .
 لم نعرف عن فريد الأطرش غير أنه يسكن فى برج عاجى ملكى فوق قمة عمارته
 الشاهقة فى أجمل موقع على نيل القاهرة يستقبل فيه أصدقاءه من الأمراء والوزراء
 والحكام فى العالم العربى ..
 ويمارس فيه ومنه هواياته الارسقراطية على أعلى المستويات . النساء ... الخيول ...
 اللعب ...

وصدقنى أيضاً يا عزيزى فريد - أن هذه الصورة الفاخرة أبعدت عن آذاننا الغضة
 التى كانت تلتقط كل شىء حينئذ ... أبعدت عنها روائعك اللحنية الأولى .. وصوتك
 السلمى .. ، السلم الذى لا يهرم .
 أبعدت الصورة الأرسقراطية الفاخرة .. ألعانك ... وصوتك عنا .. ولكن إلى حين .
 وتمضى الأيام ...

وتكتسب الأعواد الطرية صلابة .. وتصبح البراعم الفنية زهوراً فواحة . تنشر العطر
 حولها أينما تحل ...
 وبدأت أنت التقارب ...

بدأته بتجربتك الكبيرة ... وذوقك البالغ الرقة إذ جاءنى يوماً صديق لى ولك
 يقول :

- الأستاذ فريد قال فيك أمس كلاماً كبيراً ...

- الأستاذ فريد الأطرش ... وماذا قال ... ؟

- قال إن أحمد فؤاد حسن قدم للموسيقى ... وقدم للموسيقين ...

وفعل كذا .. وكذا .. وإنتى سوف أكون سعيداً جداً إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً جداً إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً أكثر إذا نفذلى موسيقاى ... وألحانى ... وكان اللقاء على يد الصديق العزيز الأستاذ جلال معوض ... والمناسبة حفلة أضواء المدينة فى افتتاح مشروع السد العالى فى يناير ١٩٦٠ . فى أسوان .

وكما جمعت هذه الحفلة نجوم السياسة العالمية ... فقد جمعت نجوم الغناء فى الشرق العربى وكان الجور الفننى فى هذا الوقت رائعاً بلا شوائب .. صافياً بلا غيوم .. فكنت ترى فى الحفلة الواحدة العديد من النجوم ... كنت ترى الحفلة تجمع فريداً وحليماً ووردة وشادية وفايزة وصباح ونجاة وفايدة وشهرزاد وقنديل وطلب وغيرهم .. وتمر الحفلة بلا أية متاعب ولا احتكاكات .

أما اليوم وللأسف ، فيجب أن تكون كسينجى المواهب لكى تستطيع أن تجمع اثنين من هؤلاء النجوم فى حفلة غنائية واحدة ..

إن لم يكن فى حفلة استقبال واحدة ...

وعندما تقابلنا فنياً أولاً .. ثم دعوتنى كصديق إلى بيتك ومحافلك .. وجالستك ..

وعاشرتكَ صدقت المثل الشعبى العميق المعنى .

- تعرف فلان ؟

- أيوه .

- عاشرته ؟

- لا .

- يبقى ما تعرفوش .

نعم يا عزيزى الصديق فريد . . فعندما عاشرتك زال الغلاف المفتعل الذى كان يحيط بصورتك . . وبصوتك . . وبألحانك . . وأخذ التقارب بيننا ينمو ببطء وبعمق ، وبفهم . حتى أصبح صداقة أكبر من الصداقة . . وأخوة وأعمق من الأخوة . لم تستطع الخلافات الفنية الطارئة أن تؤثر فى هذه العلاقة بل ان كل خلاف ، ولو أدى إلى الانفصال الفنى بيننا ، كان يدفعنا إلى التقارب الأكثر . . حتى نؤكد لنفسينا وللناس أن علاقتنا أقوى من أى شئ .

وأصبح لا يمكن أن يجمعنا بلد واحد بدون أن نكون معاً يومياً فى القاهرة . . فى بيروت . . فى لندن فى باريس . . فى الأردن . . فى المغرب . . فى الخرطوم . . فى دمشق . . فى الكويت . . فى ليبيا . .

ومن هذا الرباط القوى المتين . . ومن خلال هذه المعاشية الدائمة أعتقد أننى أستطيع أن أكتب لك فى ما يعنى لى حول فريد الأطرش الفنان . . وفريد الأطرش الإنسان . .

يا عزيزى فريد . . .

لا شك أن لك قصة كفاح كبرى فى بدء حياتك الفنية تتواكب مع هجرتك إلى عاصمة الفن القاهرة . . أنت والمرحومة والدتك . . والمرحومة ذهبية الصوت وفقيدة الغناء العربى أسمهان أختك ، وأخوك العتيد فؤاد . . .

عملك كبائع بسيط فى محلات بلاتشى بالموسكى بستة جنيهات شهرياً ، عملك فى كازينو بديعة مغنياً وملحناً بما يوازى هذا المبلغ تقريباً ، إلى نهاية هذه السلسلة من شق الصخر . . التى لا يمكن لفنان مرموق له مكانته فى غابة الفن (عفواً أقصد فى عالم الفن) إلا أن يمر بها ويتجاوزها .

وأنتجت هذه المعاناة بالطبع مجموعة لحنية أصبحت فى وقت ما قوتاً يومياً

للجماهير العربية من المحيط إلى الخليج .

« مجموعة الموسيقى الراقصة » .

« مجموعة الأوبريتات الفلمية » وهى فى رأى ثروة لحنية يمكن الآن والآن بالذات . . أن تحول إلى أعمال مسرحية . . وقد يبدو هذا المشروع خيالاً ولكن أين هو المشروع الناجح الذى لم يبدأ بالتصور والتخيل .

« مجموعة الأغاني القصيرة الخفيفة من أول « ياريتنى طير » إلى « يابو ضحكة جنان » .

« مجموعة الأغاني الكبيرة . وعلى قممها هاتان الأغنيتان ، بل هاتان الظاهرتان الفنيتان » .

١ - الربيع .

٢ - أول همسة .

ولا أعتقد أن مطرباً فى العالم العربى ، بل فى العالم كله قد وافته الجراءة على أن يظل يغنى على المسارح ، أغنية ما ، لمدة ربع قرن أو يزيد كما غنيت أنت هاتين الأغنيتين وكأنك كنت تعرف النتيجة تماماً فى كل مرة . . .

وكم كان أصدقاؤك يشفقون عليك . وعلى نتيجة هذه الجراءة الفائقة فى كل مرة تنوى فيها غناء احدهما .

ولكن ما يحدث من استقبال الجماهير لهما وتفاعله معهما دائماً كان شيئاً مذهلاً . بل هو ظاهرة فنية تدعو للدراسة والتحليل .

هل هى الألحان . . هل هو صوتك . . هل هو ارتباط كل لحن منهما بذكريات معينة لكل فرد من هذا الجمهور العريض ؟

أعترف أنني لست أدرى . . .

وأعترف أيضاً أنني فى كل مرة أستمع فيها إلى أحد اللحنين أطرب وأحس بما

يشبه الألفة . . والصدقة التي تجمع بين إنسان . . وشيء غامض ما . . .
وبرغم أنك يا عزيزى فريد قد احتللت بالتأكيد أحد الأركان الأربعة فى قمة
الهرم الفنى فى عالمنا العربى .
وأصبحت عضواً دائماً فى نادى القمة الذى تقتصر عضويته الآن على أربعة فقط .
فإن نوعاً من المראה الفنية ، يقفز إلى لسانك . . ويعذبك مذاقه كلما تذكرت
قصتك مع أسطورة الغناء أم كلثوم . زميلتك فى عضوية نادى القمة .
« كل ما وصلت إليه يا عزيزى فريد كان فى كفة ، ولحن لك تشدو به أم كلثوم
كان فى كفة أخرى وأنا لا ألومك . . فالحان الموسيقى بناته . .
وأين الأب الذى لا يتمنى أن يزوج ابنته لرجل يضمن لها سعادتها وهناءها .
وصوت أم كلثوم يضمن النجاح والانتشار لكل لحن يقترن به . لا ألومك يا عزيزى
العزيز فى هذا المطلب العادل . . .
ولكن ألومك فى الاستمرار فيه . .
فلقد عرضت عرضك وطلبت طلبك وصار للموضوع مباحثات طويلة كالمباحثات
المصرية البريطانية أيام زمان إلى أن حدثت القصة التى كان يجب أن تختم الموضوع .
عندما اتصل بك الزميل أحمد الحفناوى يطلب منك الحضور لبيت سيده الغناء
لتسمع منك ما عندك . . وطرت فرحاً . وطرت إلى بيتها حاملاً عودك وآمالك وفى المقابلة
الفنية الكبيرة استقر رأيها على أغنية (وردة من دمن) شعر الأخطل الصغير . . وكان
لها شرط واحد هو ألا يعلن عن ذلك إلا فى حينه عملاً بالحديث الشريف (استعينوا على
قضاء حاجاتكم بالكتمان) ولأسباب أخرى لست فى حل من ذكرها الآن . .
وحددت ميعاداً لبدء البروفات . . وعندما حان هذا الميعاد تبدد كل ذلك . . وكأن
شيئاً لم يكن . . بلا أى سبب معقول . . .
عزيزى الإنسان فريد . . .

قد لا أعدو الحقيقة إذا قلت لك إنك أعجب انسان قابله في حياتي .

أنت طيب وقاس ،

أنت غني وفقير ،

أنت صحيح ومريض .

أنت باختصار مجموعة متناقضات تشكل إنساناً لا يملك كل من يعرفه إلا أن

يجبه . وإلا أن يشعر أنه لا يستطيع أن ينساه أو يتعد عنه .

أنت طيب وقاس بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يعيش في مجتمع ، قد اكتسب مع الزمن كنترولاً معيناً يحدد له مدى

صراحته في تعامله مع الناس ، إلا أنت .

فلم تعترف بعد بهذا الكترول أو لم يتمكن هو من التعايش مع طبيعتك الطفلة .

وأنت غني وفقير بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يحدد لنفسه المدى الذي يستطيع أن يتفق فيه والمدى الذي يستطيع

أن يدخره لأيامه المقبلة . . . إلا أنت فقد شاهدتك بنفسى تفقد عشرات الألوف

في ليلة واحدة .

وحضرتك بنفسى وأنت تطلب أن تعمل وأن تلحن وتغنى للإذاعة والتلفزيون

لتستطيع أن تدفع ديونك وتعيش .

وأنت صحيح ومريض بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يخاف على نفسه وتتملكه غريزة البقاء إذا ما أناه النذير بخطر معين

على صحته ويبدأ في تلافي جميع الأسباب التي أدت إلى هذا الخطر الذي يهدده ، إلا

أنت .

فعندما ينصحك الناصحون تقول لهم ضاحكاً :

« إنني مؤمن أن الله لن يمهلني ساعة واحدة عن الميعاد الذي حدده لوفاتي سواء

أكنت ، مريضاً أم صحيحاً » ثم تضيف مقهقهة : أتدرون ماذا حدث للطبيب الذى حدد لى عاماً واحداً أعيشه بعد أزمة القلب الأولى التى حدثت لى . . لقد مات هو بعدها بقليل وعشت أنا عشر سنوات أخرى ومن يدرى كم سأعيش أيضاً .

بقيت لى يا عزيزى فريد نقطة واحدة فى حياتك كإنسان . نقطة خاصة جداً . يمكن أن تملأ كتاباً كاملاً . . ويمكن أن تختار لها عنواناً (فريد والنساء) أو (فريد والزواج) .

ولكنى هنا . وفى هذه الرسالة القصيرة سأقول رأيك أنت فى هذا الموضوع ثم رأى الناس . . ثم رأى أنا .

١ - رأيك أنت يا عزيزى - أنه وعلى كثرة من عرفت من النساء . . من مختلف صنوف النساء لم تعثر على المخلوقة التى تستطيع أن تشدك من عالمك الحافل بكل ألوان المتعة ، وبكل مباحج الحياة ، وأن تعوضك داخل سجن الزواج الذهبى . . عن دنياك الرجة الفسيحة العاشدة بمئات الأصدقاء من كل جنس ولون .

٢ - رأى الناس عموماً : وأصدقاؤك خصوصاً - أنك أبعد الناس عن الزواج . . ولا سيما الآن وأنتك ستجنى على من ستزوجها . . وأنتك لن تستطيع بأى حال من الأحوال أن تعرف الفرق بين الحياة الزوجية بكل قدسيته . . وبكل قيودها . . وبين الحياة الحرة . . وخصوصاً حياتك أنت بالذات .

٣ - رأى أنا : يا أخى العزيز فريد أنك كنت مع النساء كلاعب كرة القدم يجرى بكل حواسه وطاقته وراء الكرة . وعندما تكون فى متناوله يتخلص منها بسرعة إلى لاعب آخر وهكذا دواليك .

والآن . . هل تستطيع أن تكسر قواعد اللعبة وتحفظ بالكرة وتجري بها خارج الملعب . . إلى بيتك . . هل تستطيع . . ؟

إن كنت تستطيع فافعل فوراً وبسرعة .
 لا تستمع إلى من يحاولون إثناءك عن عزمك . . ولو كانوا أقرب الناس إليك . .
 اعزم فوراً . . وتوكل . . وأنا واثق أنك ستبدأ حياة جديدة . . جديدة في كل
 شيء . . وستدخل عالماً آخر من المسئولية المحيية إلى النفس . . وستفتح باباً إلى دنيا
 من الإلهام والإبداع الفنى . . سترضيك .
 وترضى جمهورك العريض .
 وترضى معشوقتنا الإلهية الأبدية :
 « الموسيقى » .



الخطاب الثاني

عزى الغائب . .
 بلا وعى . . وبدون مقارنة . . وبرغم أننى لا أمسك القلم لأكتب إلا كل حين . .
 فقد وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدثك إليك .
 وهأنذا أكتب إليك مرة أخرى .
 حقاً . . اختلفت المراتن اختلافاً كبيراً .
 ففى المرة الأولى كنت موجوداً بينما . . كنت موجوداً . . حاضراً . . تملأ الدنيا
 حوالبك بهجة ومرحاً وانطلاقاً . وهذه ليست مبالغة .
 إنها الحقيقة . . فهذا هو أنت يا فريد . . أو ما كنت .
 أنت لم تكن تطبق الليل نهاية . . ولا تطبق للنهار وجوداً . . لا تعترف بانفصال
 مؤقت بينك وبين من تحب . إنك تريد معك دوماً . . يضحكون . . يمزحون . .
 يلعبون . . يستمعون إلى ألحانك وصوتك . . وتستمع معهم ، وكأنك تستمع إلى إنسان
 آخر . وألحان تسمعها لأول مرة . . تطرب لها وتعجب بها .
 وفى هذه المرة . . أنت غائب . . بعيد . . فى عالم آخر مجهول ، مجهول .
 إننى وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدث معك . . أو أكتب لك . . وأنت فى
 هذا العالم المجهول وبى ثقة غريبة أنك تسمعنى أو تقرأ لى .

لماذا ؟

لست أدرى . . ولست أريد الخوض فى فلسفيات روحية . . أو البحث فى ما
 وراء الطبيعة . . ولكن هذا هو ما أحسه . . وأصدق ما تملك فى حياتنا هو الإحساس .

أتذكر يا عزيزي فريد عندما كنت أنصحك أن تدخر لغدك شيئاً ينفعك وقت أن ينفض السامر . . . ويتفرق الناس من حول الفنان عندما ينطق بريقه .
 قطعة أرض . . . عمارة . . . أى شيء من هذا القبيل وأقول لك لقد أضعت الملايين . .
 واستمتعت بكل شيء وعشت ما عشت من حياتك بالطول وبالعرض .
 فلا أقل من أن تعمل حساباً لأيام الجفاف الفني . .

وتقول لى فى ثقة غريبة لن أعيش أيام جفاف فنى . . وسأموت كما عشت أستمتع بحياتي حتى آخر لحظة . . ولن أتعهد أن أترك شيئاً . . ولن أترك من بعدى . . ؟
 أنهم . . أنهم سينسوننى ويتصارعون فى سبيل ما تركته فلأرح نفسي وأريحهم .
 صدقت يا فريد . . فما حدث بعد ذهابك . . كان مأساة أخرى . . برغم قلة ما تركته نسبياً . . برغم قلة ما لم يهلك القدر لتصرفه . . فقد أحدث معارك . . وفرقات بين الإخوة . . وبين الأصدقاء والصديقات . . وظهر لك أقارب وأبناء وحفدة يعلم الله أين كانوا فى حياتك وخاضت الصحف فى هذا الموضوع السيئ . . وأفردت له صفحات وصفحات وأعداد خاصة وعامة .

وأمرح يا عزيزي فريد وأطرب . . فقد لحقت الحسد حتى وأنت ذكرى . . حتى وأنت فى عالمك المجهول ولكنه حسد نبيل جميل وسمع القصة بأكملها. فى لقاء لى مع الفنان الكبير . . المهندس الملحن أحمد صدق والذى أقبل بكل طاقته الفنية وإمكاناته الإبداعية فى هندسة البناء والفن التشكيلى . . أقبل على إعادة بناء مقبرة جديدة رائعة تضم رفاتك . . وأختك ذهبية الصوت أسمهان .
 فى هذا اللقاء قال لى أحمد صدق . . إننى أحسد هذا الرجل . . . أحسد فريد الأطرش . قطعاً إنه عمل خيراً كثيراً .

قطعاً إنه قريب من الله . . .

هل تتصور أنه للآن وبعد مرور شهر على وفاته لا يمر يوم واحد . . إلا ويأتى لزيارته أشخاص مجهولون . سيارات تقف وينزل منها راكبوا ليقروا و يقرءوا على روحه

بعضاً من آيات الله . . أناس مختلفو الشخصيات يأتون جماعات وفردى ليتصدقوا على روحه ويقرأوا له الفاتحة . . وهذه الحسنة الغامضة . . الملتفة بعبادة فضفاضة من الحرير الأسود . . لا يمر يوم إلا وتوقف سيارتها بعيداً . . وتأتى إلى القبر لكي تضع باقة من الزهور . . ثم تتسحب فى هدوء .

وكما وجدت نفسى يا فريد بحاجة إلى أن أكلمك . . أو أكتب لك . . وجدت نفسى وقد فرغ منى الكلام . . ولم أملك إلا أن أقول لك : إلى اللقاء .

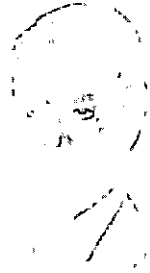
أحمد فؤاد حسن



النبأ على أثر عرس



بقلم : محمود لطفى



كانت المسافة التي تفصلني عن فريد الأطرش هي نفسها المسافة التي تفصل بين الجمهور . . وبين الفنان !
كنت واحداً من جمهوره . . وواحداً من المعجبين بفنه .
ثم التقيت بفريد معنوياً قبل أن ألتقي به في الواقع بخمس عشرة سنة !
لقد تم اللقاء بغير موعد . . وانتهى بغير وداع . . ومن يومها لم يخرج فريد من قلبي دقيقة واحدة !
كنت مجرد تلميذ في البكالوريا (الثانوية العامة الآن) . . وفي ذلك اليوم من صيف سنة ١٩٤٤ كنت أضع أذني على جهاز الراديو ، مثل الآف أخرى .
إننا لم نكن متلهفين على سماع فقرة إذاعية ، أوحى أغنية . . فالخبر الذي نحن جميعاً في انتظاره . . كان هو أحلى أغنية !
فعلى عادة الإذاعة وقتها . . كان يوم إعلان النتيجة . . هو اليوم الذي تذيع فيه الإذاعة أرقام جلوس الطلبة الناجحين . . كأسرع طريقة في نقل خبر النجاح اليوم .
وانتظرنا الإذاعة بقلوب ترتعش . . وصبر فارغ .
كان الوقت هو الثالثة عصراً . . والمكان هو شبين الكوم عاصمة محافظة المنوفية .

لقد إنتهى المذيع من قراءة نشرة الأخبار ، ثم بدأ فى التعليق على الأنباء ، ثم إنتهى التعليق على النبأ ، ثم .
غنى فريد الأطرش .

كانت الأغنية وقتها هى : عشتك يا بلبل !
وكان إحساسى بالأغنية مؤجلاً تماماً ، لأننى أريد أن أطمئن بسرعة على مصرى بين الناجحين .

ثم بدأت الإذاعة . وعرفت خبر نجاحى ، وبعدها . . عدت من جديد إلى إحساسى بأغنية فريد الأطرش !

من يومها أصبح فى داخلى إحساس غامض وعام بالتفاؤل من أى شىء يوجد فيه فريد الأطرش ! إنتى لم أكن أعلم بعد أن الظروف سوف تشاء لى بعدها بخمس عشرة سنة أن أكون محامياً لفريد . . ثم صديقاً له . . وشريكاً له فى « الحلوة والمرّة » لمدة خمس عشرة سنة أخرى . . إلى أن انتقل إلى رحمة الله فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٧٤ .

وخلال تلك الفترة الطويلة أستطيع أن أقول إنى لم أعرف فيه فقط مجرد فنان أو صديق ولكن الأهم من ذلك . أنتى عرفت فيه أطيب قلب . . وأرق إنسان . . وأعز أخ .

فى الواقع أن فريد كان يمثل التطرف فى كل شىء : فهو إما صديق . . أولاً . . وإما مخلص محب أولاً . . وإما يحب أولاً . . ولكن لم يعرف الخيانة فى حياته ولم يعرف الغش فى حياته . . ولم يعرف الكراهية فى حياته .

كان يحب كل الناس ويتأثر من أية كلمة ولو صغيرة . . كان يصدق أى كلام يقال له . . ليس عن غفلة أو عته ولكن لأنه يثق فى كل من حوله . . ولا يستطيع أن يصدق أنه يوجد إنسان يكذب . . وإذا كان يكذب على كل الناس

فعليه هو لا . . ولكن إذا تأكد في أى يوم أن صديقاً كذب عليه . . فإن هذا الصديق لا يوجد له مكان بجواره . . ولا يقبل منه أى عذر .

كان يحب المواعيد . . ويحترم المواعيد . . ويكره من يزوره من غير ميعاد . . بل إنى رأيته يرفض مقابلة شخصية كبيرة حضرت له دون ميعاد . . ولم أستطع أن أقنعه بأن الرجل لم يعرف رقم تليفونه . . وأنه كان عابراً بالقاهرة ورأى أن يزوره زيارة حب وتقدير . . ورفض .

كان يكره اللثام . . صريحاً يقول ما يعتقد ويقول ما يدور بذهنه وعلى الجملة تفكيره كان دائماً بصوت عال . .

كان محبوباً في العالم العربي جداً لا أستطيع أن أصفه . . كان في كل مكان حتى في أوروبا تجمد المعجبين به وقد أخرجوا صورته من جيوبهم وقدموها له ليقع عليها . . كان متواضعاً شديد التواضع . . لا يتصرف على أنه فريد الأطرش المشهور . . ولكن كان دائماً فريد الأطرش البسيط . . لأن الشهرة لم تولد عنده نرجسية . . ولم تجعل منه إنساناً معقداً كغالبية المشاهير .

كان يأكل بيده حتى وهو في أكبر مطاعم باريس . . في مكسيم . . في الفوكتس . . بجوار الملوك . . والأمراء . . والعظماء . . ويقول يدى خير من الشوكة والسكين . .

كان يحب الأكلات الشعبية والبلدية . الكشرى ولحمة الرأس . . ولسان العجل أو الخروف وقرقوشة الودن . . وهذا يرجع لنشأته الأولى في حى باب البحر . . وفي حى الظاهر والسكاكيني .

كان يغير ملابسه نادراً برغم وفرتها - فيظل يرتدى « الطاقم » الواحد . . بلوفر وبنطلون . . أو بدلة كاملة لمدة شهر . . حتى يجد من يخافه ويحبره على التغيير . .

كان يتلف جميع ملابسه لأنه وقت الأكل لا يعرف ماذا يفعل . . وتجد

جميع قمصانه وبلوفاته مملوءة بالبقع . .

كان يشكو من الوحدة . . ولم يكن يجد صديقاً يجاربه السهر حتى الصباح . .
وكان يسهر حتى يصبح الصبح ليطمئن أنه إذا أصابه شيء يجد من يسمع صوته ويغيثه .
كان لا يخاف الموت ويقول ابن تسعة لا يموت ابن سبعة . . لكل أجل كتاب .
كان مؤمناً إلى درجة عجيبة . . يؤمن بالله . . وبرسله جميعاً . . يضع
في صدره القرآن والصليب . . وتمثال العذراء . . ويقول دائماً الدين لله . .
كان إذا أحب أى شخص وقربه له لا يعنيه من هو . . أو ابن من هو . .
أو عمله ما هو . .

كان لا يقبل من أحد أن ينقد أى صديق له . . وإذا حدث واجه الاثنين . .
كان يعتقد في كل الناس الطهارة والصدق ولا يقبل أن يغير رأيه . . وكما قاسى من
بعض الذين قربهم له وهم على غير المستوى الواجب . . لمجرد أنه شخصياً مقتنع بهم .
وربما تكون آرائى في فريد الأطرش هنا نتيجة لعاطفة ربطتنى به ، وقد تكون
في النهاية مضطربة لأنها تكتب عقب الحدث الذى هزنى وهز العالم العربى ، ولكنى
أستطيع أن أقول إنى أكتب حقائق ، والحقيقة دائماً أقوى من أى شيء .
إن فريد الأطرش كان فريداً في كل شيء ، له طابعه المميز ، حتى إننى كنت
أعبر عن تصرفاته بـ « الأطرشيات » .

كان إذا وعد لا يخلف وعداً ، وإذا تكلم لا يقول إلا صدقاً ، وإذا لحن لا يعبر
إلا عن إحساسه ، وإذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش بصدرة . .
كان إذا وعد بشيء ، أو ارتبط بعمل ، ينفذه كأنه كتاب مقدس لا يقبل التحوير
أو التحريف . وأذكر أنه عام ١٩٦٢ كان يصور فيلم « حكاية العمر كله » من إنتاج
رمسيس نجيب وصبحى فرحات وأثناء التصوير استحق له قسط لم يدفعه المنتج
فرفض فريد أن ينزل إلى الأستديو حتى يدفع له القسط . .

وبرغم المحاولات التي بذلت لحمله على النزول منى ومن غيرى ، فإنه قال إن الارتباط هو ارتباط ، ولا بد أن ينفذ غيرى التزامه فى موعده . .

وبعد اتصالات عديدة مع الكثير من المشرفين على الفيلم حضر صبحى فرحات إلى منزله وأعطاه المبلغ ، وهنا قال فريد :

- سأكون فى الأستديو بعد خمس دقائق . . .

إلا أن صبحى فرحات قال له :

بأستاذ فريد ، فى الحقيقة أن المبلغ الذى أنا جيته استلفته فيه مبالغ محولة لى من الخارج لم تصل ، وبكره الشغل سيقف لأنه لا يوجد عندى مايكفى ، وسأضطر لانتظار التحويل !

فما كان من فريد إلا أن قال له :

ولماذا يتعطل العمل ؟ يلزمك كام ؟

فقال صبحى فرحات :

- عشرة آلاف جنيه ! . .

ودفعها فريد على الفور ، ونزل إلى الأستديو ، وصور ، واستمر العمل فى الفيلم ، والنتيجة الوحيدة ، واضحة ، وهى أن فريد لم يقبض القسط بل دفع فوqe خمسة آلاف جنيه من جيبه ، ولكن ، وبحسب تقديره فإن المنتج نفذ التزامه ، لأن دفع القسط شئ ، والقرض شئ آخر . وهذا هو فريد !

وكان إذا تكلم لا يقول إلا صدقاً ، وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ تلقى طلباً من نيابة المالية بالقاهرة لسؤاله عن مبالغ صرفت له من تليفزيون الكويت ، ولم يتم بتحويلها إلى مصر طبقاً لأحكام قوانين النقد .

وجلست معه أحصر المبالغ التى بالكويت . وما دفعه فى لبنان من نفقات لعلاج والدته التى كانت مريضة بأحد المستشفيات ، إلى غير ذلك من الأعباء التى يتكبدتها

فريد الأطرش بين الفن والحياة

أى شخص فى مثل مكانة فريد فى المجتمع ، وبعملية حسابة اتضح أن المبلغ الذى أنفقته بالإضافة إلى ما قام بتحويله إلى مصر هو سبعة آلاف دولار ، هكذا سيكون موقفه أمام النيابة المالية سليماً .

وتوجهت معه إلى دار القضاء العالى ، وجلسنا أمام رئيس النيابة الذى بدأ يسأله الأسئلة التقليدية : اسمك ، وسنك ، ومهنتك ، ومحل إقامتك ، فقاطعه الأستاذ فريد وسأله :

قبل كل حاجة عاوز أعرف المبلغ اللى بتسألوا عليه كام ؟ !

ولما كنت قد اطلعت على الرقم ولم أبلغه به ، فقد قلت له :

— يا أستاذ فريد ، دى أسئلة تقليدية ، لازم تجاوب عليها ، والمبلغ حوالى تسعة عشر ألف دينار !! .

فصرخ فريد :

— هذا كذب !

فقال له رئيس النيابة :

— إزاي بتقول إنه كذب ، والكشف قدامى وثابت منه جميع المبالغ اللى استلمها كل الفنانين فى الكويت وأنت منهم ؟ . .

فقال فريد :

— أيوه كذب !

وفاجأ رئيس النيابة بأن صحة الرقم هو ستة وعشرين ألف دينار ، أى بزيادة سبعة آلاف دينار !

وحاولت أن أضغط على رجله لكى لا يقول هذا الكلام ، لأن حسابنا مضبوط على تسعة عشر ألف دينار ، فقال باللفظ الواحد :

— أنت بتضغط على رجلى ليه ؟ ! أنا مش حأغير رأيى . المبلغ زى ماقلت ،

وأن ما اكتبش كده فى المحضر أنا مش حجاب على أى سؤال . فوقعت فى ورطة كمحام ، وكان رئيس النيابة لطيفاً معه وقال له :

– أنا حاكتب فى المحضر كل اللى بتقوله ، لكن تسمع كلام محاميك !

فقال :

– لا ، أنا مصر على رأى !

ولكن المفاجأة كانت فى قرار النيابة ، إذ قررت الإفراج عنه بلا ضمان ، فى حين أن جميع الفنانين الآخرين أفرجت عنهم النيابة بكفالة تتراوح بين خمسين ومائة جنيه ، وكان هذا انتصاراً له لأنه قرر أن يقول الحقيقة .

وكان إذا لحن لا يعبر إلا عن إحساسه ، ولهذا فإن ألحانه تدخل القلب مباشرة ، وحقيقة لا يعرفها الكثيرون ، وهى أن أعذب ألحان فريد كان هو صاحب كلماتها الأولى مثل « حكاية غرامى » و « بنادى عليك » و « سألنى الليل » . فهو كان يخلق كلمات مطلع الأغنية . ويعيش مع الجملة الموسيقية التى تدور فى ذهنه ، بل كان يلحن كلاماً أى كلام يكمل به الشطر الذى يتخيله ، ثم يدفع إلى المؤلفين بأفكاره ، ثم فى أيام يصبح اللحن كاملاً ، والأغنية فى طريقها إلى الأستديو للتسجيل .

وكان إذا غنى لا ينطق إلا بما يجيش به صدره يردد دائماً الأغنية التى تعبر عن الظروف التى يمر بها ، حتى ولو كانت لغيره من المطربين ، وكان فى أيام الحفلات العامة يسأل ماذا أغنى فى الحفلة ، ويسمع رأى ، ورأى غيرى ، ثم تبدأ البروفات للحفلة فتجده قد اختار أغنيات بعيدة عن طلباتنا وأسأله : طيب ليه ؟ . ماتقول حاجة من الأغانى الجديدة ، أو تقول الأغنية الفلانية !

فيسكت قليلاً ويقول :

– أنا حأغنى الأغانى الفلانية . . عارف ليه ؟ لأنى لازم أقولها . . ما

أعرفش ليه .

وكان فريد صريحاً إلى أبعد حدود الصراحة ، ولكن فيما لا يضر أى إنسان . وأذكر أنه فى عام ١٩٦٥ ، كنت جالساً معه مساء ذات ليلة فى منزله بالجيزة نستعرض الأمور ، وفجأة دق جرس الباب ، وعرفنا أن الزائر هو أحد أصدقائه الأعزاء ، وهو رجل الأعمال محمد بركات وكان دائماً يحب أن يداعب الموسيقى من وقت لآخر ، وبعد أن سلم وجلس ، استأذن الموسيقى ليخلع جلبابه ، ويلبس بنظولاً وقيصاً ليستقبل به زوار منزله ليلاً من الأصدقاء الخالص ، وجلست أنا والسيد بركات نتحدث فى بعض الأمور . . .

واقترح بركات أن يداعب الموسيقى كعادته ، فأخبره بقصة سيقولها له بمجرد عودته من غرفة نومه ، وهذه القصة غير حقيقية ، وسيطلب من الموسيقى ألا يخطر بها أحداً . وراهنى السيد بركات بأن الموسيقى سوف يرويه للجميع بعد ساعة على الأكثر من وقت علمه بها ! . . .

وحضر الموسيقى الراحل ، وبدأ السيد بركات يروى القصة ، وتلخص فى أنه عائد لتوه من أوروبا . . . وأن الطائرة التى كان قادماً عليها اضطرت للهبوط فى روما دون أن يكون هذا فى خط سيرها ، وذلك لأسباب فنية ، وأنه جلس فى مطار روما مدة ساعة وفى أثناء تجوله فى صالة الترانزيت بالمطار صادف أحد رجال الأعمال الألمان ، ووقع معه عقداً على صفقة كبيرة من المواد الكيماوية وأنه تليفونياً اتفق مع أحد التجار فى روما على بيعها ، وحقت الصفقة ربحاً قدره ٨٥ ألف جنيه استرليني ! . . .

وجلس رجل الأعمال بشرح للموسيقار كيف أن الإنسان يرزق برغم أنفه وأن القدر يتدخل كثيراً فى حياة الإنسان ، سعد فريد جداً لما أصاب صديقه وعبر عن سعادته بقبلة حارة وضعها على جبين الصديق ، وهنا بدأت مداعبة الصديق بركات لفريد ، فقال للموسيقار إنه بمناسبة هذه الصفقة ، واحتفالاً بها يجب أن يدعوا الموسيقى وجميع ضيوفه فى تلك الليلة إلى عشاء فاخر ! !

واقترح فريد أن يكون الطبق الأساسى هو الحمام المشوى ، وللعلم فإنه من الأطباق
المفضلة إليه ! . .

ووافق رجل الأعمال محمد بركات وتم تنفيذ العزومة كاملة ، وحىء بالحمام
المشوى من مطعم معروف ، وبدأت السهرة ، واجتمع جميع الأصدقاء أمام العشاء
الفاخر ، وبدأ الموسيقار يحيى ضيوفه ويعطى هذا حمامة ، ويعطى تلك صدراً
من حمامه ، ويوزع على كل من يجلس على المائدة أويقف حولها ، وكنت أرقبه أنا والسيد
بركات ، ونشعر أنه بتصرفاته هذه يحاول الابتعاد عن قول شيء أو إذاعة ما يدور بذهنه
وفجأة نطق الموسيقار فقال :

- يا جماعة أنتم عارفين مين اللى عازمنا الليلة ؟ ؟ . . اللى عازمنا محمد بركات
عارفين ليه ؟ لأنه عمل صفقة اليوم ! . .

وبدأ فريد يسرد كل التفاصيل التى استحلّفه الصديق بركات ألا يذيعها وأن يحتفظ
بها سراً . . خوفاً من الحسد وكلام الناس . .

ولكن هذا هو فريد الأطرش ، لا يستطيع أن يفكر إلا بصوت عال ليعطى
البرهان دائماً على شفافيته وصفاء نفسه . .

وكان الفنان الراحل يعيش للفن من أجل الفن ، وب عقلية فنان لا تحسب حساباً
لشيء إلا للفن ! . .

وعاش فريد الأطرش حياة فنية طويلة قلقاً على فنه ، قلقاً على نفسه ، ضائعاً
فى خضم طويل واسع لا يعرف له حدوداً ولا شواطئ ، يبحث عن شيء أعتقد أنه لم
يجده

ومع ذلك فلقد كان من صفات فريد الأطرش العناد الشديد حتى لو أضر بنفسه ،
ويبدو وأنه فى هذا ممثلاً بالمثل الدرزى المشهور « عترة ولو طارت » وأعتقد أن حكاية

هذا المثل معروفة للقارئ اللبناني ، ولكن قد يجهلها الكثير من القراء في أنحاء العالم العربي . .

وتحكي الرواية أن أحد الأكراد كان يسير مع أحد الدروز ، ومشهور عن الأكراد والدروز العناد ، وجاء سير الاثنين في المزارع ، فلفت الكردي نظر الدرزي إلى طير موجود بين الأشجار يبحث عن شيء يأكله . . فرد عليه الدرزي إن الذي يراه بين الأشجار واقفاً على الأرض ليس طيراً بل عترة . . فقال له الكردي : يا أخي إنه طير ، هذا هو الدليل . وقذف بحجر في اتجاه الطير فطار ! ! فرد عليه الدرزي : عترة ولوطارت .

وكان من حكايات عناده حكايتان إحداهما رواها لي والثانية عشتها معه . .
أما تلك التي رواها لي ، فإلى القارئ تفاصيلها :

كان الموسيقار الراحل في رحلة إلى الإسكندرية مع صديقه السيد عبدالرحمن سرور الصبان ، وكان قد سافر إليها بالسيارة لقضاء يومين على شاطئ عروس البحر الأبيض المتوسط ، وبعد أن أمضيا اليومين على أحسن ما يجب كل منهما . . طلب السيد عبد الرحمن سرور من صديقه الموسيقار أن يعودا إلى القاهرة بالطائرة بدلاً من ركوب السيارة ، فقال له الموسيقار إن المسافة واحدة ، على ماتروج المطار وتركب الطائرة وتصل إلى القاهرة وتأخذ تاكسي من المطار إلى المنزل تكون وصلنا بالسيارة . وهنا قال له صديقه : على أي حال يبقى تغيير بافريد ، ونكون مع بعض ! ! . . فرفض الموسيقار الإقترح ، وأصر على السفر بالسيارة ، وقال لصديقه : يعني أنت بتوجدني أمام الأمر الواقع ، وليه ماخدتش رأيي في هذا الموضوع ؟ على أي حال أنا مسافر بالسيارة ، وراح أحرمك تسافر بالسيارة ، وراح أحرمك من أن تكون معاً بالطائرة ، وأراهنك أني سأكون بالقاهرة قبل منك ياللي مسافر بالطائرة ! !

فقال له صديقه : طيب أنا أراهنك على مائة جنيه إذا حصل ووصلت القاهرة

قبل منى وقبل فريد الرهان .

ولما كان فريد يعلم في قرارة نفسه أن حسابه خطأ ، وأن صديقه سيصل قبله إلى القاهرة فإنه بعناذه الشهير أصر على أن يكون بالقاهرة قبل الصديق .

وأعد الموسيقىار سيارته وأجلس السائق بجواره ، وجلس هو على مقعد القيادة ، وكان معه السيارة « الباكار » وهي بقوة « ثمانية سلندر » وتوكل على الله وانطلق على سرعة مائة وخمسين كيلومتراً في الساعة ، وجلس السائق « محمد » يرتعد ويقرأ القرآن والموسيقارينطلق بالسيارة غير مكترث لنقط التفتيش على الطريق الصحراوي ، ولما كانت المسافة بين القاهرة والإسكندرية حوالى مائتين وخمسين كيلومتراً ، فإنه على هذا المنوال سيصل إلى القاهرة بعد حوالى الساعتين إلا ربعاً ، فإذا وضعنا في الحساب مداخل القاهرة التي لا يستطيع أن يسرع فيها بالسيارة أكثر من ٦٠ أو ٥٠ كيلومتراً في الساعة وهي مسافة تصل إلى خمسة عشر كيلومتراً ، فإن معنى هذا أن الموسيقىار سيصل في ساعتين وكسور . . ولما كانت الطائرة تقطع المسافة من الإسكندرية إلى القاهرة في نصف ساعة ، ونصف ساعة من مدينة الإسكندرية إلى مطار الإسكندرية في ثلاثة أرباع الساعة من مطار القاهرة ، إلى منزل الموسيقىار بالجيزة فإن حسابات الصديق تجعله يصل إلى منزل الموسيقىار في ساعتين إلا ربعاً . . معنى هذا أنه يوجد حوالى العشرين دقيقة بالزيادة في رحلة الموسيقىار . .

وعمل الموسيقىار الراحل كل ما يمكن ليصل في موعده وقبل صديقه . . وفعلا وصل منزله وسأل البواب : هل الأخ عبدالرحمن وصل ؟ ؟ . فقال له البواب : لا ماوصلش ! ! وهنا انفجرت أسارير الموسيقىار وارتاحت أعصابه . . وبمجرد أن جلس على كرسيه ، دق جرس الباب وإذا بالداخل الصديق عبدالرحمن سررو الذي وضع يده في جيبه ، ودفع للموسيقار مائة جنيه قيمة الرهان . .

وهكذا أوصل العناد الموسيقىار إلى المخاطرة بحياته الغالية على الملايين لمجرد أن

ينتصر على صديقه . .

أما الحكاية الثانية فهي من أروع الأمثلة على عناده وقد عايشتها معه . .
كان ذلك في أثناء تصوير فيلم « زمان يا حب » وغير المخرج بعض مواقف في الفيلم
وحواره وأضيف إليه الحوار التالى :
« المنظر : فريد الأطرش يركب حماراً اسمه « ابوللو » ومعه الفنانة زبيدة ثروت
بطلة الفيلم » .

وكان الحوار :

شوشو : أستاذ فريد ، تحب تسمع موسيقى .

فريد : بكل سرور .

وهنا يبحث شوشو في رقبة الحمار عن شئ ، ثم يرفع يده براديو ترانزستور ، يبدأ
الحوار التالى :

فريد : أنت كمان معلق له راديو ؟

شوشو : امال ياأستاذ ؟؟ أبوللو ييحب الموسيقى ، وخصوصاً أغانيك .

فريد : ماهو أصله حمار . .

وأعجبت القفشه فريد ، وأصر على أن تكون بالفيلم ، وفعلاً تم التصوير ، ودعانى
الأستاذ عبدالسلام موسى ، المشرف على الفيلم لرؤية الفيلم قبل عملية المكساج ،
وحضر العرض عدد كبير من المشرفين على مؤسسة السينما .

وذملت عندما سمعت الحوار ، واعتقدت أن به مساساً بالموسيقار .

وكان فريد فى لندن ، واتصل بى تليفونياً ، وقلت له رأى إنه لابد من حذف هذا
المشهد فقال لى الموسيقار : لا يا محمود ، أنا عاجبى ! وسكت . . وحضر الموسيقار
إلى القاهرة ، وبدأت أناقشه فى موضوع هذا المشهد ، فقال : يا محمود ، أرجوك
اسكت ، أنا عاجبى !

وسكت فعلاً ، وعرض الفيلم في بيروت ، وكان من عادته أن يطلب من أصدقائه أن يروا أفلامه ويقولوا له رأيهم ، ورأى الجمهور في الصلاة . . . وذهبت في زيارة له في بيروت ، فطلب منى أن أرى الفيلم فعلاً شاهدت الفيلم ، وقلت له رأيى وزدت عليه رأى الناس في الحوار الذى كان موضع خلاف بينى وبينه والسابق الإشارة إليه ، واتضح أن غيرى قال له مثل ماقلت ، فطلب منى الأستاذ فريد أن أتصل بالمؤسسة في القاهرة لرفع هذا المشهد من الفيلم ، وعدت للقاهرة وقال المسئولون سبق السيف العزل لا يمكن . . . لأن النسخ توزعت . . . وقلت لهم إن الأستاذ فريد مستعد يدفع كل التكاليف مهما كانت ولو وصلت عشرة آلاف جنيه ! ! فقالوا متأسفين . . . وظل الموسيقىار فترة طويلة من الزمن متأثراً من هذه الواقعة ، وزعل جداً لأن المؤسسة لم تستجب لطلبه . . .

وهكذا نرى فريد الأطرش عنيداً ، ولكن فيما لا يضر الغير ، ويصر على رأيه حتى ولو كان خطأ ثم يحاول أن يصلح ماأفسده الدهر حتى ولو كلفه مالا كثيراً . . . وفريد الأطرش كان عطوفاً على كل من حوله يحب صديقه ويتفانى في حبه ، ولا يهدأ ولا يستقر إلا إذا اطمأن على أصدقائه واحداً واحداً . . . وكان إذا سافر إلى بلد آخر خارج الجمهورية يتصل مرة على الأقل كل أسبوع تليفونياً ويسأل عن كل واحد باسمه ، وكان إذا جد الجد وأحس أن صديقه في حاجة إليه ، سارع إلى الاتصال به ووقف بجانبه لينصره ويناصره إلى أن يمر بمحنته أو ظروفه القاسية على أحسن حال وهنا يهدأ الموسيقىار ويستريح باله .

وأذكر أن صديقاً من رجال الصحافة المرموقين تعرض في أوائل الستينات لقرار وقف عن عمله ، ووقف مرتبه ، وكان هذا القرار من جهة عليا لا تعقيب على قراراتها . . . وكانت مراكز القوى تعتبر الاتصال بأى شخص مغضوب عليه خيانة وطنية ، جزاء من قام به أن يحبس . . . أو يشرد . . . أو يحارب في رزقه ! . . .

وظل المحيطون بفريد لا يخبرونه من أمر صديقه شيئاً ، إلى أن جاء اليوم الذى افتقده فيه الموسيقى فاتصل به فى مكتبه ، وعلم أنه بإجازة منذ مدة طويلة ، فاتصل بمنزله فعلم أنه غير موجود بالمنزل أيضاً ، فتوجه بنفسه إلى منزل الصديق سائلاً عنه ، وهناك علم بما أخفاه عنه الأصدقاء فظل منتظراً فى سيارة أمام منزل الصديق ، وظل منزل الموسيقى وأصدقاؤه يبحثون عنه فى كل مكان إلى أن أصابهم القلق ، وبعد ساعات من الإنتظار الملل والقلق ، ودخل الموسيقى وهو أشبه بقائد عاد من ميدان القتال بعد أن لقن جيوش أعدائه درساً قاسياً وهزمها شر هزيمة ، وبسؤاله أين كنت وأين اختفيت . . هل هو حب جديد . . أو ماذا ؟ والكل فى لهفة لسماع الخبر فأجاب الموسيقى بهدوء شديد أنتم عارفين أن فلان موقوف عن عمله ؟ فأجابوه : أيوه . . ! !

- طيب ليه ماحدث قاللى ؟؟

فرد أحد الأصدقاء :

- ماهو يا فريد أنت عارف إن قرار إيقافه عن العمل قرار سياسى ، واحنا عارفينك ما بتعملش حساب للمستولين . . وأنت فنان كبير ، ومش عايزين حد يزعل منك ! .

فرد فريد :

- كتر خيركم ، على أى حال أنا عرفت الموضوع كله . . وزرت الصديق واللى يجزىلى يجزىلى .

وكانت مشكلة ترقب الجميع نتائج ضارة لها تلحق بالموسيقار ، وفى أثناء الحديث دخل الصديق الموقوف ، وقبل فريد قبلة حارة ، ثم جلس ، ثم وضع يده فى جيبه وأخرج شيكاً قدمه للموسيقار قائلاً إذا احتجت لشيء سألجا إليك . . فرفض الموسيقى أن يمسه بيده ، وكانت المفاجأة أن كان شيكاً موقعاً على بياض من فريد

الأطرش . . تركه لأهل منزل الصديق لما يش من حضوره . .

وهذا هو فريد !!

وكان فريد أيضاً قلقاً دائماً عندما يقدم على أى عمل فنى . . تجده غير مستقر على حال . . لا ينام حتى يرتاح ، ولا يتسلى مع الأصدقاء بلعبة « الكومى » . . وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ كان قد انتهى من إعداد أغانى فيلم « زمان يا حب » ، وكان البحث جارياً عن بطلة الفيلم ، ووصلت إلى بيروت لزيارته والإطمئنان عليه ، ووجدت أن شغله الشاغل أن يجد بطلة تقف أمامه فى فيلم « زمان يا حب » . . فقلت له :

- هل رأيت فيلم « . . . » وبطلته « . . » وإخراج صديقك ومخرجك المفضل بركات . .

فقال :

- لا ! . .

فاتصلت بصديقه وصديق الأخ روبر خياط ، وسألته عن الفيلم المطلوب ، وهل عرض فى بيروت أو لا ، فاستمهلنى إلى أن يسأل الموزعين فى لبنان ، وفعلنا وجدنا الفيلم فى بيروت فطلبت من روبر خياط أن يطلب النسخة ليراها الأستاذ فريد ، وفعلنا قام السيد خياط باستئجار النسخة ، وألغى حفلة الساعة التاسعة بالسينما التى يملكها بالأشرفية ، وأمسك الموسيقىار الراحل بالتليفون ودعا مجموعة من الأصدقاء لمشاهدة الفيلم فى عرض خاص ، وكان فى مقدمة المدعوين صاحب الموعد ، الأستاذ بديع سريه وزوجته السيدة نادية ، والسيدة سلوى القدسى ، حبيبة قلب الموسيقىار إذ لم يكن قد أعلن خطبته لها بعد . .

ودارت ماكينات العرض . . وشد الفيلم جميع الحاضرين ، واندمج الموسيقىار مع قصة الفيلم وهو ينظر بعين خبير إلى البطلة وتحركاتها فى « الكادر » وروحها فى أداء الدور ، إلى أن ظهرت على الشاشة كلمة « النهاية » . ونظرنا جميعاً إلى الموسيقىار

لنسمع قراره ، ونظر هو إلينا يتلمس قرارنا . . ونحن صامتون وبدأ هو يسأل
وكان أول الذين سأهم الموسيقار الأستاذ محمد بديع فقال رائعة ! . . وقالت السيدة
سلوى القدسي : ممتازة تليق للدور معك يا فريد ! ! . .

وقال رويير خياط : أنا واحد باشتغل فى السينما من زمان ، وأقدر أقول هايله
جداً . . ونظر إلى الموسيقار الراحل فقلت :

- أنا قلت لك إنها ممتازة وتستحق الدور ! . .
وسكت الموسيقار وخشنا جميعاً ألا يكون مقتنعاً بما نقول ، وفجأة قال : على
خبرة الله !

ووجه لى الكلام :
والنبى يا أخ محمود تتصل بالأستاذ عبدالسلام موسى ، المنتج المنفذ للفيلم ،
ومندوب المؤسسة بفندق « كارلتون » وتبلغه قرارى وعلى الله نتوكل ونشتغل ! . .
وبحثت عن تليفون فإذا بتليفون السينما معطلا ، فابلغت الأستاذ فريد فقال :
- طيب لما نوصل البيت نطلبه . .
وما كدنا نصل البيت - بيت الموسيقار - حتى أمسك هو بالتليفون . . وطلب
فندق كارلتون :

فريد : الأستاذ عبدالسلام موسى . .
عاملة التليفون : دقيقة من فضلك ندور عليه . .
وبحثت عاملة التليفون عن الأستاذ عبدالسلام موسى فلم تجده ، فقالت متأسفة تحب
تسيب رسالة ؟

فقال : أبوه من فضلك ادنىي المختص . . .
وحولت عاملة التليفون المكالمة إلى المختص ، وهو الموظف الذى يعطيك مفتاح
غرفتك بمدخل الفندق ، ودار حوار رواه لى الموسيقار فيما بعد .

فريد : من فضلك عايز اسيب رسالة للأستاذ عبد السلام موسى . . أنا فريد الأطرش .

عامل الفندق : مرحباً يا أستاذ . . يا أهلاً وسهلاً . . اتفضل قول يا أستاذ . . فريد : الأخ الأستاذ عبد السلام موسى وقع اختياري على الفنانة « . . » للقيام بدور البطولة أمامي في الفيلم أرجو إخطار الأستاذ محمد رجائي مدير الإنتاج بالمؤسسة بالقاهرة ليتعاقد معها . .

عامل التليفون : ده معقول ياأستاذ أنت تقوم بالتمثيل أمام هذه المثلة . . دى مين دى « . . . » ياأستاذ الى تمثل قدامك . .

فريد : طيب أرجوك الغ الرسالة .

وكان قرار فريد أن هذه الفنانة لا تصلح للقيام بدور البطولة أمامه ، لأن هذا رأى الجمهور والجمهور هو كل شىء فى حياة فريد الأطرش ، ولذا كان يسميه دائماً : الحبيب . .

وهذه هى صفات فريد التى ستظل خالدة فى حبه لفنه . . وقلقه على فنه . . واحترام رأى جمهوره مهما كان . . ولم تكن نظرة فريد إلى جمهوره هى نظرة الفنان للذين يصفقون له ويعجبون به . لا . فريد كان يرى هذا الجمهور باعتباره الشعب . . وهذه الأمة . . وهذه الأرض.

إن هذا يجعلنى فى حاجة إلى تسليط الضوء على مشاعر فريد نحو وطنه .

لقد كان الموسيقىار الراحل صورة مجسمة للوطنية محباً لبلده يعتر بمصريته . يشارك بروحه وإحساسه فى كل مناسبة وطنية ، وكان يتألم كثيراً إذا لم يستدعه أحد للمشاركة بفنه فى عيد وطنى .

وكانت احتفالات ٢٣ يوليو « تموز » من كل عام تمثل بالنسبة له . . حسرة وألماً ، ويظل يحجب أرجاء منزله ، ويحدث نفسه . . لماذا لم يستدعنى أحد للمشاركة

في العيد ؟ ! هل يجوز لي أن أقنم الحفل ومعى الفرقة الموسيقية وأقول : أنا عازر أغنى وأشارك . . وهل يليق بالفنان أن يقف على الباب ويطرقه ويقول : يا ناس لازم أكون معاكم في الليلة دى ؟؟

ثم يجيب فريد : أبداً ، لا يمكن أن يحدث مثل هذا ، أنا قاعد في بيتي لغاية ما يعرف المسئول عن هذا الحفل ، أنتى موجود ، ولا يليق بي أن أذهب إلى مكان الاحتفال دون دعوة . . والرئيس عبد الناصر وضيوفه قاعدين . . وأعمل غلطة بروتوكولية ! . .

وفي عام ١٩٦٧ كانت النكسة وبدأت الدماء تغلى في جسد الموسيقار المريض ، وبدأ الحزن يسيطر على حياته لما أصاب بلده ورفض أن يعود إلى القاهرة الكسيرة ، وفجأة انتفض الموسيقار الراحل وطلب مؤلف الأغاني عبد الجليل وهي ، وجلس يشرح مرة أخرى ، وأنه لازم نحارب لازم نحارب لازم نعمل حاجه ، وأن العرب إذا كانوا قد خسروا معركة ، فليس هذا كافياً أن نستسلم للكلاب . . وهذا تعبيره بالحرف الواحد . . .

وفي اليوم التالى حضر إليه الشاعر عبد الجليل وهي وسلمه نشيداً ، هذا النشيد هو نشيد « شعبنا يوم الفدا » ومقاطع النشيد تقول « لا تقل ضاع الرجاء . . إن للباطل جولة . . وفي نهاية النشيد « أذان » ينادى على العرب « الله أكبر الله أكبر . . لا إله إلا الله » . .

وبدأ الموسيقار الراحل تلحين النشيد وانتهى منه ، وبدأت البروفات مع الفرقة الموسيقية ثم توجه للاستديو لتسجيله ، واتصل بصديقه الأستاذ جلال معوض لأخذ رأيه في الكلمات . . فهناه على حسن اختياره . .

ثم أخذ الموسيقار قراره : لا بد أن أرسل هذا النشيد إلى جميع الإذاعات العربية ليذاع فوراً ، وطلب من الأستاذ إعداد النسخ اللازمة بعدد الدول العربية ، وتوجه

إلى السفارات العربية في بيروت ، وسلم كل سفير نسخة ، واستدعاني من القاهرة ، وسلمني نسختين لإذاعة القاهرة ، وأحضرت الشريط وأذيع . .

وبعد أسبوع تلقيت مكالمة تليفونية من الموسيقار الراحل وأبلغني أنه ليس كافياً ما فعله لابد من تصوير النشيد تليفزيونياً ، وقلت له : فكرة كويسة . . وفي اليوم التالي كان استديو ١١ في تليفزيون لبنان يبني الديكورات ، وبدأ التصوير ، وأرسل لي نسخة من الفيلم سلمتها لتليفزيون مصر . . وقام هو بتسلم النسخ إلى السفارات !

وهذا فريد ، ودفع كافة التكاليف من جيبه الخاص . . وقال : ده أقل شيء أعمله نحو بلدي . . ياريتني أستطيع أن أحارب . . ياريتني كنت في حالة صحية تسمح لي بأني ألف على جميع المعسكرات للجيش العربية . . وأغني لإخوتي الجنود هذا النشيد . .

وتحضرني في هذا المقام رائعة أخرى ، في أكتوبر ١٩٧٣ . كنت مع الموسيقار في باريس وتركته الساعة الثالثة ليستريح بعض الوقت على أن أعود له في الساعة مساء . وفي الساعة الخامسة استمعت إلى الإذاعة التونسية وكان الخبر الأول عندها هو قيام الحرب في الشرق الأوسط ، ودخول مصر الحرب ضد إسرائيل ، وأن مصر انتهزت فرصة عيد الغفران عند اليهود وهاجمت الجيوش الإسرائيلية في سيناء . .

واتصلت تليفونيا بالموسيقار الراحل في فندق « البرنس ديجال » وقال عامل التليفون إن الموسيقار طلب عدم الإزعاج . . وعدم تحويل أية مكالمات إليه قبل الساعة السابعة فقلت لعامل التليفون . . أنا صديقه ومحامي ، وعندى رسالة عاجلة من القاهرة تم أعماله . . ولابد من أخذ رأيه في الموضوع . . وأرد على القاهرة حيث ينتظرون أخذ رأينا لتوقيع عقد هام . .

وبعد حوار طويل وافق عامل التليفون على أن يحول المكالمة للموسيقار ، فاستمط

فرعاً ، وقال : خير يا محمود . . لازم فيه حاجة وحشه . . أرجوك ماتخيش على . . .

وقلت له : مصر حاربت إسرائيل ، والرئيس السادات أمر بالحرب . . ! . .
فرد الموسيقار : الحمد لله ، هذا أسعد خبر أسمعه منك ، أنا دلوقت استريحت ، لازم كان يحصل كده . . لازم نموت كلنا يا محمود . . ولا يبقى الحال كما هو عليه . . تعال فوراً علشان نتابع الأخبار . .

وجلست معه فى جناحه فى الفندق ، كان معه فى رحلته هذه خطيبته السيدة سلوى القدسى ، وجلس الموسيقار أمام التليفزيون ، وجلست أنا أدير مفتاح الراديو باحثاً عن المحطات العربية أو إذاعة القاهرة ، ولكن بدون جدوى ، وكانت الأخبار التى يذيعها التليفزيون الفرنسى كلها سيئة وضد العرب ، وقال الموسيقار : أنا باعتقد يا محمود إن فيه تحيز . . اطلب لى القاهرة ، واطلب لى بيروت .

وظل على نار يترقب المكالمين ، وإذا بأخبار القاهرة مطمئنة جداً ، وإذا بجنودنا قد عبروا ، وإذا بالجيش المصرى قد استقر على الضفة الشرقية للقنال ، وإذا بأخبار بيروت مطمئنة أيضاً . . فإن الجيش السورى انطلق من الجولان ، وبدأت الفرحة على وجه الموسيقار ورأيته وكأن عمره قد نقص عشرين عاماً ، وكأنه قد شفى من جميع أمراضه ، وقال : مش قلت لك فيه تحيز . . الحمد لله أنى عشت حتى رأيت هذا اليوم . . سأرسل برقية للرئيس السادات، أهنته ، وبرقية للرئيس الأسد ، أهنته . . هات ورقة وقلم .
وكتب البرقيتين وأرسلهما . .

وفى هذه الليلة لم يخرج من الفندق ، وظللنا جالسين نتابع الأخبار ، ونشتري جميع طبعات الجرائد . .

وجلس يفكر فى الانتصار ، وقال لازم ترجع مصر على طول علشان أكون جنب إخوتى الجنود فى هذه الأيام التاريخية . .

- ولكن المطار مغلق يا أستاذ فريد ولا يمكن تسمح لنا القوات المسلحة المصرية باستعمال المطارات المدنية في هذه الظروف . .

وقال : ده صحيح . .

قلت : إذن ، لازم نساfer إلى لندن لأن ميعادك مع الدكتور جيسون يوم ١٠/١٠/١٩٧٣ وثق أن علاجك والاطمئنان على صحتك عمل وطنى نخدم به بلدك . .

وسكت الموسيقىار ، ثم تكلم وسألنى :

ه طيب ، وأنت حتعمل ايه يامحمود ؟ . . مش ممكن أسيبك لوحذك فى بلد زى ده . . لازم تسافر معايا على لندن لغاية المطار مايفتح وترجع مصر معايا . . .

فقلت له :

- طيب سيبك من الموضوع ده . . واتحملش همى . .

فقال :

- إزاي ماحملش همك ؟ ؟ بكره الصبح أنا رايح معاك على القنصلية البريطانية فى باريس وأطلب لك تأشيرة . .

وذهبتا فى الصباح وأصر القنصل البريطانى على ضرورة استئذان القنصلية البريطانية فى القاهرة والحصول على موافقتها على منحى التأشيرة . . وتضايق الموسيقىار وظل يفكر ماذا يفعل حتى يطمئن على قبل سفره إلى لندن . .

وبعد ثلاثة أيام دام على الاتصال فيها بالقاهرة وبيروت ، وعرف أن كفة الحرب قد مالت نحو العرب ، وأن العرب لقنوا الجيش الإسرائيلى درساً لن ينساه ، وأن خط بارليف قد إتهار . . علمنا أن مطار بيروت مفتوح للطيران المدنى ، وذهب معى إلى شركة الطيران ، واستبدل لى تذكرنى إلى بيروت . . حتى أذهب إلى بيروت وأبقى هناك إلى أن يفتح مطار القاهرة . .

واتصل الموسيقار بأخيه منير في بيروت ، وطلب منه أن يحجز لي بفندق « بريستول »
وأن يرعاني طوال غيابه عني . .

ثم قال يامدام سلوى أرجوك تعودي مع محمود إلى بيروت علشان تكوني في رعاية
محمود وأنا غايب ، وكمان أنت عارفه ظروف المستشفيات وبقائي فيها ، وأنا لأطمئن
في لندن لوحديك ولا أحب أن تكوني في أي فندق . . وأنا داخل المستشفى . .
لأني لا أطمئن عليك إلا إذا كنت أنا بجوارك . .

وعدت مع السيدة سلوى القدسي إلى بيروت وبقيت هناك ، وإذا برقية تصل بعد
أيام للأخ روبرت خياط ، وهو من أخلص أصدقاء الموسيقار الراحل ، بأن الموسيقار
عائد إلى بيروت بعد أن انتهت إقامته في المستشفى واطمان الدكتور جيسون عليه .
ذهبنا إلى المطار ، كل أحباب فريد وأصدقائه ، لنستقبله . . ونزل علينا من
الطائرة سعيداً بعدوته سعيداً بنصر العرب ، ولحنى بين المستقبلين وضحك ضحكة
عريضة وقال :

- الحمد لله ، أنت لسه هنا ، دى فرصة عمرى أنى لقيتك موجود في بيروت ! .

قلت :

- ليه خير . .

فقال :

- خير . . أنا عايزك تقعد معايا كام يوم . . إن سعادتي لا حدود لها أن
أجد صديقاً يكون بجوارى . . وأنت خير صديق . .

كان هذا هو فريد فعلاً

فلقد كان فريد الأطرش إنساناً عطوفاً ، بحب الخير ويسعى إليه ، وإذا سمع عن
صديق مريض سارع لزيارته ، وإذا سمع عن شخص في حاجة إلى مساعدة بادر
بمد يد العون له خفية . .

وأذكر في عام ١٩٦٦ كانت حالة فريد الصحية سيئة جداً ، وتورمت قدماه ، وأصبح لا يقوى على الحركة . . حتى خشينا عليه أن تكون النهاية . .
ولسوء حظه كان في هذه الحالة السيئة ، والعمل جار في فيلم « الخروج من الجنة »
أمام الفنانة هند رستم ، وكان بين الشوت والشوت يخلع حذاءه ويتمدد على كرسي ،
ويرفع رجله إلى أعلى حتى يخفف الآلام وطلبت منه أن يتوقف عن العمل فقال : كيف
أقف يا محمود ؟ ! أنت شايف العاملين في الفيلم قد إيه ؟ ؟ والمؤسسة ذنبا إيه يتعطل
العمل في الفيلم ؟

والفنانون ذنبهم إيه . ماهو كل واحد عايز يخلص علشان عنده شغل تاني . . ولم
نجد بداً نحن أصدقاء فريد نرقب الحالة ونستشير الدكتور عوض إبراهيم ، إلا أن
الحالة زادت سوءاً وتضخم القلب ، وتضخم الكبد ، واتصل الدكتور عوض إبراهيم
بالموسيقار محمد عبدالوهاب الذى اتصل على الفور بى وعرف الحالة ، ثم بادر إلى
الاتصال بالدكتور محمد عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام
في ذلك الوقت ، والمسئول عن مؤسسة السينما حيث تتبع وزارته .

وكان الدكتور عبدالقادر حاتم رقيقاً إذ بمجرد سماعه الخبر ، ذهب إلى ستديو
نحاس بنفسه حيث يجرى العمل في الفيلم ، ودخل الدكتور حاتم ليفاجأ بالموسيقار
الكبير الراحل جالساً على كرسي وقد خلع حذاءه ، وسأله عن صحته ، فقال له الموسيقار
الحمد لله . .

ونظر الدكتور حاتم إلى المخرج ، وإلى المسئولين بالمؤسسة ، وأصدر قراره على الفور :
« بوقف العمل بالفيلم ، وتتخذ إجراءات سفر الموسيقار فريد الأطرش إلى لندن
للعلاج فوراً وعلى نفقة الدولة » .

وقال له الموسيقار : ألف شكر يادكتور . . وأنا أشكرك وأشكر الدولة . .
الحمد لله عندي مايكفيني ، بس كل اللي بطلبه هو أن تحول المبالغ اللازمة للعلاج

من مصر ، وأنا أدفع هنا القيمة بالجنيه المصرى ' . . .

فوافق الدكتور حاتم على الفور .

وبعد أيام تحسنت صحة الموسيقىار وكنت فى باريس وخاطبته تليفونياً ، وطلب منى الحضور إلى لندن ، وفعلنا ذهبت لزيارته هناك ، واطمأن قلبي على صحته ، واستأذنته فى السفر للقاهرة لمناسبة عيد الأضحى الذى كان باقياً عليه عدة أيام ، فشدد على يدي وقال : مع السلامة بس فيه حاجة مهمة !

قلت له : خير . . .

قال : لاتنس أن تقوم بالواجب نحو إخوتى المؤلفين والملحنين الفقراء !

قلت : أى واجب ؟

قال : اخص عليك يامحمود ، نسيت . . . العيدين . . . كل سنة وأنت طيب . . . الأيام القادمة عيد . . . والمحتاج ينتظر ليكسى أولاده ويفرحهم . . . أرجوك ادفع كالعادة وزود المبلغ شوية . . . وقولهم . . . ادعوا لفريد بالشفاء . . . وإن شاء الله العيد القادم نعيد كلنا مع بعض فى القاهرة . . .

وكان الموسيقىار الراحل شجاعاً ، لدرجة التهور . كان دائماً يقول الرب واحد . . . والعمر واحد وأذكر أنه فى عام ١٩٧٣ أصيب الموسيقىار فريد الأطرش بداء « النقرس » وكان يأخذ أدوية كثيرة . . . وفى أثناء وجوده فى القاهرة قاسى منه كثيراً ، وكان مرتبطاً بعمل فى بيروت ، وقرر السفر فى الموعد المحدد وحسب العادة المتبعة ، وعلى طائرة الشرق الأوسط التى تغادر القاهرة الساعة الرابعة إلا عشر دقائق بدأنا نستعد لسفر الموسيقىار ، وذهبت إليه الساعة الواحدة بعد الظهر وجلسنا تناقش بعض الأمور الخاصة به ، ثم بدأ يعد حقايبه ، وكانت معه خطيبته السيدة سلوى القدسى وبدأنا طريقنا إلى الأسانسير . . .

وقلت له : طيب أنا نازل أجيب سيارتى على الباب علشان ماتمشيش وتركب

على طول ، لأن النقرس مضايقتك ! .

فقال : طبيب ، يا الله وأنا وراك على طول . !

ووقفت على باب عمارته عشر دقائق في انتظاره ونظرت نحو الأسانسير فوجدته في الدور العاشر ، وفي طريقه إلى الدور الأرضي وفجأة فتح باب الأسانسير ، ولقيت أحد العاملين في منزل فريد يبكي ويقول : الحق . . الحق . . اطلع فوق . . الأستاذ وقع على الأرض . . عاوزين دكتور اعمل معروف . !

فأخذت المصعد إلى الدور العاشر ، لأجد الموسيقىار الراحل جالساً على كرسي بجوار سريره ولونه شديد الصفار ، وفي حالة شبه انعدام وزن ، وكانت لهفتى على الموسيقىار وعلى حياته سبباً في أنني لم ألحظ شيئاً هاماً . . إذ كانت السيدة سلوى القدسى ممددة على الأرض ومغمى عليها ، وكلمنى الموسيقىار بصعوبة قائلاً : ماتخافش يامحمود ، الحمد لله فاتت على خير . . بس شوف سلوى . .

ونظرت إلى الجسد الممدد وتطلعت في الموسيقىار ، وارتبكت ، وبدأت أبحث عن الدكتور ، وناديت على أحد العاملين بمنزله ليعاوننى في رفع السيدة سلوى عن الأرض ، وبعد محاولات بدائية أفأقت السيدة سلوى ، وارتاح الموسيقىار وقال : يامحمود ، أنا جات لى دوخة . . ووقعت على الأرض . !

وقال : أنت عارف النور لما يكون ينسحب من اللبنة الكهربائية . . وتخفت شيئاً فشيئاً إلى أن يعود الظلام وينقطع التيار . . هذا ما شعرت به . . ووجدت نفسى والدنيا تدور بى . . والظلام يحيم على الحجرة ببطء شديد ، إلى أن أظلمت الدنيا كلها . . ولم أدر بنفسى إلا وأنا على الأرض ، ولم يستغرق ذلك نصف الثانية ، وغبت فترة أعتقد أنها لا تزيد على ثانية ، وفتحت عيني فإذا بى أجد سلوى ملقاة على الأرض . . فبدأت أتحمس جسدها وأنا فى شبه غيبوبة . . وحضرت أنت . . قلت : الحمد لله . . وحمد الله على السلامة . . واحنا طلبنا الدكتور

وزمانه جاى . .

وكانت المفاجأة عندما قال : دكتور ايه ؟ فاضل قد ايه على ميعاد الطائرة ؟
قلت له : مافيش سفر النهارده . وعلى أى حال لا بكلامك ولا بكلامى . .
ننتظر الدكتور وقراره !

فقال : أنا مسافر . . هاتوا الشنط أحسن الطائرة تفوتنى !
وبكى كل من فى المتزل ، وبكت السيدة سلوى وقالت : دخيلك يا أستاذ
محمود ماتخليه يسافر . .

فرد الموسيقىار : أنا مافيش حاجة . . مانت شباب يامدام سلوى ايه اللى
وقعك على الأرض . . بالله يامحمود نتوكل على الله . . ونزلنا .
وفى مطار القاهرة كانت المفاجأة ، إذ وجدنا الميكرفون ينادى الموسيقىار الكبير ،
وتوجهت إلى الموظفة المختصة وسألها : خير ؟ مين عايز الأستاذ فريد ؟ فقالت
مطلوب لإدارة المطار . .

وحضر أكثر من مسئول فى المطار ، وقالوا : اتصل بنا الموسيقىار محمد
عبد الوهاب ومعه الدكتور عوض إبراهيم الطبيب المعالج ، وطلبوا منع سفر الأستاذ
فريد لأسباب صحية ، ومحافظة على حياته . .

ورد الموسيقىار العنيد : اشكروا الأستاذ عبد الوهاب . . واشكروا الدكتور
عوض . . العمر واحد والرب واحد . . وابن تسعة لايوت ابن سبعة . . أنا
مسافر على هذه الطائرة .

وودعنا ، وقبلنا ، وركب الطائرة ، وفى المساء اتصل بى من بيروت وقال الحمد لله .
يامحمود العمر واحد والرب واحد . .

وفريد كان فى الواقع يتمتع بحاسة سادسة . . كما يقولون ، وكان يحس بأى شىء
قبل وقوعه وكانت له نظرة فاحصة فى من حوله يفتش عن شىء يخفونه عنه . . وكانت

هذه عادته لكثرة ما أخفى عنه من أخبار وأمور حريصاً على صحته . . وحتى لا ينفعل فيؤثر ذلك على حالته الصحية . .

وأذكر أنه في عام ١٩٦٧ كنت في زيادة لبيروت ، وكان يقيم آنذاك بفندق « بريستول » بالجناح ٥١٦ ، وأنا بالغرفة التي بجواره ٥١٧ .

وكان المتبع أن أدخل عليه الساعة الثانية عشرة ظهراً ، فإذا كان نائماً أيقظته . . وإذا كان مستيقظاً نجلس نستعرض بعض الأمور الخاصة . . والعامية . . وذات يوم أيقظتني شقيقه فؤاد من النوم ، وكانت الساعة السادسة صباحاً وقال لي : أرجوك تنزل بسرعة . . .

قلت له : خير . .

قال : بس تعال ونتفاهم مع بعض .

ونزلت على عجل لأجد فؤاد الأطرش مرتبكاً وقال : والدتي ماتت ، ومش عارف أتصرف إزاي . . قلت : ندفنها والبقية في حياتك . .

قال : وفريد نعمل فيه أبيه ؟

قلت : نسيه نام لما يصحى في مياعده . . وبعدين ربنا يدبرها . .

وذهبت مع الأخ فؤاد إلى بلدة « شوبت » في جبل لبنان ، حيث تم دفن المرحومة « علي . المنذر » وكانت مراسم الدفن جديدة على ، إذ وجدت شيوخ الدروز قادمين من كل مكان من الجبل ، وكانت عمائمهم البيضاء ملفقة للنظر ، وحملوا « النعش » على أكافهم وهم يكبرون بذكر الله ورسوله إلى أن وصلنا إلى المدافن ، وهناك وضعوا التابوت الذي بداخله جثمان الراحلة وبدءوا يصلون عليها صلاة الجنائزة . . ويكبرون الله أكبر . . لا إله إلا الله . . محمد رسول الله . . ووضع التابوت داخل المقبرة . . وانصرفنا إلى منزل أحد أقربائنا .

وجلسنا في غرفة الاستقبال صامتين إلى أن قطع شيخ العقل الصمت وقال :

« العوض بسلامتكم » . . وهى عبارة مماثلة لما نقوله فى مصر « البقية فى حياتكم »
 ثم قال : الموت حق . . والحياة ممر وليست مقرأ . . وكل من عليها فان . .
 وعدت إلى فندق « بريستول » متأخراً عن الموعد المعتاد مع الموسيقار حوالى ساعتين .
 وعلمت من موظف الاستقبال أن الموسيقار الراحل سأل عنى كثيراً . . فتوجهت
 إلى غرفته فوجدته جالساً يقرأ بعض الصحف والمجلات ، سألتنى : كنت فى يامحمود
 . . أنا قلقت عليك . .

فقلت : والله كنت فى مشوار . . .
 فنظر إلى محاولاً أن يستشف شيئاً . . وكان يبدو على بعض الضيق . فسألتنى :
 إيه مالك يا محمود ؟

قلت : أبداً صحيت بدرى شوية . .
 وقررت أن أتحمل عبء مواجهة الموسيقار وأخطاره بفقد أمه . . أعز إنسانه
 فى الوجود بالنسبة لأى شخص .
 وعاد يسألنى : مشوار إيه ؟ هو أنت بتروح مشاوير من ورايا . .
 قلت : والله هو مش مشوار يخصنى . . إنما الصبح بدرى النهارده ذهبت إلى
 بلدة شويت » . .

فقال الموسيقار : « شويت » دى بلد ماما . . لازم حصلها حاجة . .
 فأحسست أن الموسيقار قد تهاى لسماع النبأ فرددت على الفور العبارة التى سمعتها
 من المعزين : العوض بسلامتك . . .
 وانفجر الموسيقار باكياً ، وصرخ إزاي ماحدث يقول لى . . إزاي أنت بالذات
 يامحمود ما تصحيش . . مع السلامة ياماما . . مع السلامة يامن قاسيت
 الأمرين حتى كبرت وإخوتى . . إنا لله وإنا إليه راجعون .
 وبكى ، وتركته يبكى . . إلى أن استراح . .

وقام ولبس ملابسه ، وطلب سيارة أحد أصدقائه وعدنا إلى قبر والدته . . ووضع على القبر باقة من الزهور . . وقرأ لها الفاتحة . . وظل يحاورها في صمت حيث كنت أسمع همساً يخرج من فمه . . وتركته واقفاً حوالى نصف ساعة . . إلى أن أحس أهل البلدة بوجود الموسيقى بينهم . . وبدءوا يتجمعون ، فأخرجوه من أمام قبر أمه . . وخرجنا إلى الساحة التى أمام القبر ، وتقبل الموسيقى العزاء فى والدته وانصرفنا . . وظل مكتئباً مدة طويلة . . برغم قولى له : الحياة ممر وليست مقرأ . . وبقي فى غرفته بالفندق ثلاثة أيام لا يغادرها .

وأذكر أنه فى عام ١٩٧١ قام الموسيقى بإحياء عدة حفلات فى القاهرة وكانت الإسكندرية هى الختام . .
وفضل الموسيقى أن يسافر بالقطار وكنا ثلاثة : الموسيقى وخطيبته السيدة سلوى القدسى وأنا . .

وفى القطار من القاهرة إلى الإسكندرية . . قابل صديقاً عزيزاً عليه هو رجل الأعمال محمد بركات ، ووقف الرجلان يتكلمان ، وكان أول سؤال سأله الموسيقى لصديقه : إزاي كوثر ؟

وقال السيد بركات كويسة ، ولا زالت فى صحة يحسدها عليها الصغار .
و « كوثر » هذه فرس كان يملكها الموسيقى وباعها إلى صديقه بركات . . وكان يعتز بها هى وحصان آخر اسمه « فارس العرب » .
وسعد الموسيقى جداً بأنباء كوثر وقال لصديقه إن شاء الله أنا راجع من الإسكندرية بكره بالليل بعد ما اخلص من الحفلة . . وعلى فكرة أنت راجع أمتى ؟
فقال الصديق بركات : إن شاء الله بكره برضه . .

فرد الموسيقى : إذن نتقابل يوم الاثنين بمنزلى الساعة الثانية بعد الظهر ، وتغذى سوى ونروح نشوف كوثر . . وفارس العرب .

فقال الصديق : إن شاء الله . .

وسلم فريد على صديقه وجلس ، وهمس الصديق في أذنى : أنا عاوزك . .
 وذهبت معه تتكلم ، فقال لى : يا أستاذ محمود ، أنا وقعت فى مطب دلوقت . .
 قلت له : خير ؟

قال : فريد أنت عارفه . . المواعيد . . مواعيد . . ولازم أكون عنده
 يوم الاثنين حسب الاتفاق . . لكن كوتر مانت بمرض النجمة منذ أسبوع . . -
 وهو مرض يصيب الخيل دائماً - . . وأنا عارف أن فريداً رايع يغنى . . وأنا عارف
 حبه للخيل . . وأنا عارف اعتزازه بكوتر لأنها فرصة كويسة وهو كان معجب بها
 ومتعلق فيها . . أعمل أليه دلوقت ؟
 فقلت له : خيراً ما فعلت . .

وعدت وجلست أمام الموسيقىار تتكلم فى الجو ، والحفلة ، وأستاذ الإسكندرية الذى
 تقام فيه الحفلة . . وجمهور إسكندرية ، وإيه اللى يغنيه فى هذه الحفلة ؟ ولكن
 الموسيقىار كان يحس شيئاً . . وكان يريد أن يسألنى عن حديثى مع الأستاذ محمد
 بركات . . إلا أنه كان حساساً لا يحب أن يسأل عن أى شىء . . ولا يدخل نفسه
 فى موضوع لا يهمه . .

ووصلنا إلى الإسكندرية وغنى ليلتها الموسيقىار أغنية الربيع . . وكانت من أحلى
 المرات التى غناها . . وكان فى قمة الأداء . . وقمة السعادة . . وظل على المسرح
 ساعة ونصفاً . . يشدو بأغنيته ويتصرف ، وكان الطقس رائعاً . . وكان الجمهور
 رائعاً . .

خرج الموسيقىار من المسرح سعيداً . . ووعد جمهوره بأن يعود بعد استراحة قصيرة .
 وفى الغرفة التى كانت معدة لإستراحته ، كان الصحفي الكبير موسى صبرى يجلس
 معه ، ولاحظ أن الموسيقىار قد أرهقه الغناء فنهه من أن يغنى وصلة ثانية ، وعدنا إلى منزل

الموسيقار بالإسكندرية ، وجلسنا نتكلم ونبدى ملاحظتنا على النحلة . . وعلى الجمهور . . وعلى أداء الموسيقار . . وكان الموسيقار متضيقاً لأنه كذب على الجمهور ولم يعد له . . كما وعد . .

وبعد فترة بدأ الحديث في مواضيع أخرى وجاء ذكر الصديق محمد بركات . . فقال الموسيقار الراحل : ماتنسا يا محمود يوم الاثنين حنروح عند بركات نشوف كوثر . .

ورأيت أن من واجبي أن أخرج الصديق بركات من ورطته فقلت : والله المشوارده مالوش لازمة يا أستاذ ، خصوصاً وأن عندنا مواضيع أخرى ولازم نسمع تسجيل الحفلة أحسن . .

وهنا نظر إلى الموسيقار . . ووجه إلى سؤالاً : إيه اللي كان الأخ بركات يقولك عليه في القطار ؟

وكان السؤال غريباً منه ، إذا لم يتعود فريد أن يسأل عن شيء لا يخصه . . فقلت في نفسي إن حاسته السادسة بدأت تعمل ، وكانت فرصتي أن أخبره بأن كوثر ماتت . . ورأيت دمعة حائرة في عين الموسيقار الكبير ، وقال : أنا إحساسى ماخابش ، معاك أنا حسيت أن فيه حاجة . . ياخسارة كوثر . . حقاً . . الموت نقاد . . وهذا هو فريد . . صاحب القلب الكبير المريض ، أحب كل الناس . . وأحب حتى الحيوانات ، وليس غريباً عليه ذلك . . فلقد كان كله إحساس .

وربما من أجل هذه الحساسية كانت عصبية فريد تبدأ بمجرد أن يبدأ عمل . لقد كان الموسيقار الراحل قلقاً دائماً على فنه ، فإذا أقدم على إنتاج فيلم تجده عصبياً حاد المزاج . . وكانت العقبة التقليدية التي تصادفه دائماً هي القصة الجيدة . . وكانت له شروط دائماً في القصة : -

أولاً : أن يكون دوره في الفيلم مطرباً أو موسيقاراً . .

• ثانياً : أن تكون القصة عاطفية ، ولم يكن ليبخل في الإنفاق على القصة لأنه كان يعتبرها الأساس لأي فيلم ناجح .
وأذكر أنه بعد أن انتهى من فيلم « حكاية العمر كله » شرع في البحث عن قصة جديدة ، واتصل بصديقه الكاتب الكبير الأستاذ إحسان عبدالقدوس الذي تواعد معه على الزيارة دون أن يفتح له الموسيقى في أى عمل ، وفي الموعد المحدد حضر الأستاذ إحسان لزيارته ، وكانت ليلة من ليالى الصيف . . وجلسنا في شرفة منزل الموسيقى الراحل . . وبدأ الحديث شخصياً عن الحال والأحوال ، وكان الموسيقى متردداً في مفاتيح الأستاذ إحسان في الموضوع خوفاً من أن يرفض الكاتب الكبير ، وشدة حساسية من الموسيقى حتى لا يشعر الصديق الكاتب أن الزيارة . . زيارة عمل . .
وبدأ الموسيقى يتكلم عن الأفلام والإنتاج والأغاني . . وظروف مؤسسة السينما ، وعدم وجود إمكانيات الإنفاق على الأفلام كما كان يحدث في الماضي ، وقال له الأستاذ إحسان :

ولماذا لا تعود للإنتاج يا فريد ؟ فرد الموسيقى : أنت عارف أسواق الفيلم المصرى أصبحت محدودة . . ومن الصعب أن أتحمّل مخاطر التسويق والإنتاج في هذه الظروف ولكن . . إذا أنت عملت لي قصة كويسة ممكن أقول . . فريد الأطرش يعود مرة أخرى للإنتاج بقصة لإحسان عبدالقدوس . .
ورد عليه الأستاذ إحسان : شوف ياخى فريد ، أنت فاهم أنا أقعد أكتب قصص تفصيل . مش ممكن كتبي موجودة في السوق ، ويمكن تختار منها الى أنت عاوزه . .
ورد فريد : يا أستاذ إحسان ، أنا شخصياً ما أقدرش اطلع على الناس في فيلم ودورى فيه مهندس ، أو دكتور أو محامى . . الناس راح تضحك على . . وأنا مش حا أكون صادق . . لأن دورى في الحياة ليس مهندساً ، أو دكتوراً ، أو محامياً أنا فنان . . ولازم أكون فناناً في الفيلم علشان يكون فيه صدق . .

فقام الأستاذ إحسان : كلامك صحيح يا فريد . . لكن ليس في استطاعتي أن أكتب حاجة متفصله عليك . .

وبعد انتهاء زيارة الأستاذ إحسان ، جلس الموسيقار مهموماً وقال : شفت إزاي يامحمود . . دائماً العقبة اللى بتصادفنى هى القصة . . وأنا مش ممكن أقدم على عمل أنا غير مقتنع به . . تصور أنا اطلع فى فيلم واقف زيك واقول : يا حضرات المستشارين . . مش معقول . يبقى وقار فى المحكمة ، وبعد خمس دقائق أقابل البظلة وأروح أغنى حد يصدقنى بدمتك . .

وقلت له : عندك حق ياأستاذ فريد . . وعلى أى حال نبحث عن قصة . . وظل البحث جارياً إلى أن وجد قصة الكاتب الكبير توفيق الحكيم . . « الخروج من الجنة » والقصة معروفة ، وإذا كان الموسيقار قد وفق فى قصة ، فإن هذا كان لا يرضيه . . كان دائماً يقول لازم يكون عندى على الأقل قصة أو اثنين جاهزين لأن الأغانى مش سهل الواحد يحطها فى الفيلم ، لازم يكون الموقف مناسب للأغنية ، وكلام الأغنية مناسب للموقف . . ودى مسألة تأخذ وقت . .

وبدأ الموسيقار تصوير فيلم « الخروج من الجنة » وبدأت متاعب البحث عن قصة جديدة حتى تكون احتياطى لديه .

وبعد طول البحث لم يجد القصة التى ترضى مزاجه وتحقق أهدافه ، وعرض فى المنزل عشرات الأفلام الأجنبية التى تدور بطولتها حول حياة فنان ، وجد أن قصة فيلم « دادى لونغ لجز » مناسبة له ، واتصل على الفور بالأستاذ يوسف جوهر لاقتباس القصة ، وبعد الانتهاء من القصة ، اتفق مع السيناريست محمد أبويوسف على أن يكتب السيناريو والحوار ، وبعد عمل مرهق لمدة ثلاثة شهور دفع فيها الموسيقار كافة الأتعاب اللازمة لكاتب القصة والسيناريست قال : العمل اللى قاموا به الجماعة كويس وممتاز . . لكن هذا ليس الذى كان فى خيالى . . اللى كان على الشاشة

فى الفيلم الأمريكى حاجات إنسانية . . وحاجات تحلى المتفرج مشدود بالفيلم . .
لكن للأسف يبدو أن الاقتباس عملية صعبة . .

وبدأت البحث عن قصة جديدة . . وقال له المخرج هنرى بركات : فيه
قصة كوبسة اسمها إيريانا فتاة شابة روسية ! ! وأنت مسافر باريس ابحث عن هذه
القصة وهى تصلح لك مائة فى المائة . .

ويسافر الموسيقار إلى فرنسا ، وتصادف أن كنت فى عمل لجمعية المؤلفين فى باريس ،
والتقىنا . ولاحظت فى صمت تام أن الموسيقار الراحل قد كتب اسم القصة لأكثر من
شخص . . حتى موظف الإستقبال بفندق « جورج سانك » ورصد له مكافأة
قدرها ثلاثمائة فرنك فرنسى جديد إذا أحضر له القصة . . وكان فى خروجه ودخوله
من وإلى الفندق يسأل . . وقلت له : طيب أدنى اسم القصة .

وأخذت الاسم . . وذهبت إلى رصيف « سان ميشيل » بالبحى اللاتينى فى باريس
وبدأت البحث من العاشرة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر دون جدوى ، وظهرت أمامى
خيبة الأمل التى سيسمنى بها الموسيقار عندما أخبره بأننى لم أجِد القصة . . ومشيت
فى شوارع البهى اللاتينى . . وبيجوار جامعة فرنسا العتيدة « السوربون » وجدت محلاً
صغيراً لبيع الكتب المستعملة ودفعت إلى صاحب المكتبة باسم القصة ، وكان رجلاً مسناً
سألنى : مالذى ذكرك باسم القصة الآن ؟ فقلت له : الحقيقة أن لى صديقاً فناناً
يبحث عنها ! !

فقال الرجل : هل هناك نصف ساعة تجلس معى هنا . . وسأبحث لك
عنها . .

وبدأ الرجل يبحث فى رفوف المكتبة ، وبعد ساعة قال : عندك حظ . . وعند
صديقك حظ . . وجدت لك نسخة . . هل تعرف آخر مرة طبع فيها
هذه القصة ؟

قلت : لا . .

قال : عام ١٩٢٥ . . .

ودفع لى بالكتاب ، وضعت أمامه المبلغ الذى طلبه ، وانصرفت وأنا أطيّر من الفرح ، لقد حققت للصديق الموسيقى شياً ، ودخلت عليه فى الفندق فوجدته نائراً . . كيف تأخرت عن موعدى معه . . وقلت : والله الموضوع كان مهم شوية ! وأخرجت من وراء ظهري القصة ، ودفعت بها إليه . . وما إن قرأ عنوانها حتى تهلل وجهه ، وزال غضبه ، وكان نصيبى قبلة على جيبى . . وخمسمائة فرنك فرنسى جديد مكافأة على هذا العمل العظيم . .

وقال الموسيقىار : الحمد لله ، الأستاذ هنرى بركات قال إنها حاجة كويسة . . وجلس يقرأ القصة ونسى الغداء ونسى المواعيد ، وحملها وطار إلى بيروت . . وكان فيلم « الحب الكبير » . وهذا هو الفنان الموسيقىار فريد الأطرش ، يظل قلقاً ولا يهدأ إلى أن يجد ما يرضيه . رحمه الله . .

محمود لطفى



فهرس

الصفحة

١١	الفن والحياة وفريد الأطرش
٢٩	بقلم : محمد عبد الوهاب
٤٣	فريد الأطرش فنان أحب كل شيء
٦١	بقلم : محمود الشريف
٧٥	من قتل فريد الأطرش ؟ !
٩٥	بقلم : جورج إبراهيم الخوري
١٠٩	دفاع عن الضياع الحضاري
١٢٣	بقلم : بليغ حمدي
	حبيب العمر والسنوات الأخيرة من عمره
	بقلم : محمد بدیع سرية
	فريد فنان لا يتكرر
	بقلم : محمد الموجي
	عزیزی فريد الأطرش
	بقلم : أحمد فؤاد حسن
	إنها علاقة عمر
	بقلم : محمود لطفى

رقم الإيداع	١٩٨٢/٥٠٧٥
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٠٢ ٠٢٣٩-٨

١/٨٢/٢٢٥

طابع بمطابع دار المعارف (ج. ٢٠ ع. ٠)